كتاب سلوان المطاع في عدوان الأتباع

تأليف الشيخ الكامل جمال الدين محمد بن محمد بن ظفر رحمه الله تعالى آمين

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

ملتقى أهل الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وهو حسبي ونعم الوكيل
قال الفقير الى الله تعالى والغني به محمد بن ابي محمد بن ظفر
عفا الله عنه ان شكر الله لاسنى الملابس الفاخره وان
حمده لاعود نجي الدنيا والاخره فالحمد لله جاعل الصبر
للنجاح ضمينا والمحبوب في المكروه كمينا الذي ضرب
دون اسرار الاقدار حجابا مستورا وقضى ان الخير على
الغط حجرا محجورا واوطى لمستسلمين لمشاياه مهبودا
وتبرا واطى لمتبرمين بقضاياه كبودا ثبورا
وقال سبحانه وعسى ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه
خيرا كثيرا وصلى الله على المرسل شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا اسمه محمد
المصطفى وسلم تسليما وبعد فان طالبه اضطراب الاغتراب
وانتياب الاكتياب ان اناولني الله وله الحمد
لمواخاة ستيل عثرات السادة السراة ومنيل انفس
الحسدة حسرات سابد السادة وقايد القادة ابي
عبد الله محمد بن ابي القسم بن علوي القرشي بارك الله له فيما

الهمه

1

الهمه كسبه وكان وليه وحسبه فلقد ابرز الدنيا بتدرك منزلتها وكونه
بترك مزلتها فعمل للبقا لا للفنا وجاد لله لا للثنا وجمع للجود لا للاقتنا
وهو لله واخا للتعاون على البر والتقوى لا للتهافت في هوى
الهوى وزان الرياسة بنفس لا تضيق بنازلة ذرعا ولا تصغي الى
الوشاة سمعا ولا تدنس بطمع طبعا وبحلم لا يروع الغضب
له ببه راسا وحزم لا يخاف له معه باسا فالحمد لله الذي
اباحني من احسانه حمى منيعا وحرما امنا ومرتعا مريعا

شعرا

فنحن بعرفه فيما شهدنا ... واحسبنا وما اخترنا وشينا
بقينا ما نخاف وان ظننا ... به خيرا اراناه يقينا
نميل على جوانبه كانا ... اذا ملنا نميل على ابينا

فاقسم لولا ان الشكر عقد شرعي وحوض مرعي لاقوت نطقي مما
نشرت والتورية عما اليه اشرت اذ كان وفا بي الله تعده ولا
ابقا بي تعده يرى ان الشكو في الهبة ندوب والمدح في خواص
اوليائه ذنوب فلا زالت يد التوفيق له ناصره وخطا
النوايب عنه قاصره ومكانه العلى له فاخره ومكاده
الاعداء له داحره وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه
الاكرمين وسلم عليه وعليهم اجمعين ولما كانت الهدايا
تشيع الحب وتضاعفه وتنقص الشكر وتضاعفه احببت
ان اهدي اليه هديه فايقه رايقه تكون عندي نافقه وبقدره
لايقه فلم اجد ذلك العلم الذي شغفه حبا والحكمة التي

لم يزل بها صبًّا وبالأدب الذي استوعبه مولدًا أو كسبًا واستعمره
حلبًا وقلبًا فأتحفته بأساليب الغاية في أحكام آية وهو كتاب
ضمّنته أحد عشر سلوانًا تقتضي بسالكها إلى العلم النافع بالظاهر
والمستنبط في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة
فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الآية ثم شفعته بالمثنى لاستنشاق
المعونة والإشراق وهو كتاب استوعبت به ذينكا لنا ليفنين
الشريفين مشفوعة بنخب براهينهما ثم عززتهما
بدرر الغرر وهو كتاب انتظمت به درر أبناء نجباء الأبناء
فأودعته منها ما عز مطلبه وبهرت حكمته وحسن أدبه ثم
رشفت بكتابي هذا وهو كتاب عمدت فيه إلى أمثلة استأثر
خواص الملوك ببضاعتها وسعتهم الغيرة من إذاعتها فتوسعت
بالتعبير بألفاظ عنها والتحبير لمعانيها والتفنن بقوى فنني
فيها توسعًا لا يحظره شرع ولا ينبو عنه سمع حتى إذا عادت
أهلتها بدورًا أربعة واصبت ودنها عما بأنعم نفثت في
صورها أرواح الأخلاق الزكية وكسوت حسومها حلل
الأدب الملوكية وتوجت رؤوسها بتيجان الحكم الإلهية
وقلدت عواتقها بسيوف المكايد الحربية فصدرتها
بآي من التنزيل المحكم وأحاديث عن المصطفى صلى الله عليه وسلم
إلى ما يلي ذلك من منثور الحكم وموزونها وأبكار الآداب
وعونها فبرزت روضة للقلوب والأسماع وسميتها سلوان
المطاع في عدوان الأتباع وهي خمس سلوانات السلوانة الأولى

في

في التفويض والسلوانة الثانية في التأسي والسلوانة الثالثة
في الصبر والسلوانة الرابعة في الرضى والسلوانة الخامسة
في الزهد وأنا أرغب إلى الله سبحانه في الإمداد بالسداد
والإرشاد إلى نفع العباد فيه الحول والقوة وله الطول
والمنة ~~السلوة~~

السلوانة الأولى وهي سلوانة التفويض

قال الله تقدست أسماؤه فعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير
لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم
لا تعلمون فاستوقف من عقل أمره عن الاقتراح عليه
وأفهمهم ما يرضاه من التفويض إليه فالعالم تارك الاقترا ح
على العالم بالصلاح ووجه الندب إلى التفويض من هاتين
الآيتين أنه إذا كان المكروه قد يأتي بالمحبوب والمحبوب
قد يأتي بالمكروه فالأولى بذي البصيرة أن لا يأمن المضرة بالمسرة
ولا ييأس من المسرة بالمضرة فيستخير الله سبحانه ولا
يختار عليه وهذا هو التفويض المستمد من الله صرف
البلاء واللطف في مكروه القضا وهذا أعامل الله سبحانه

مومن آل فرعون حين فوض امره الى الله سبحانه وتعالى وذكر ما بلغنا
انه كان من قرابة فرعون وخواص اصحابه وكان وزراء فرعون
وبطانته قد فطنوا لايمانه واتباعه موسى عليه السلام
فاطلعوا فرعون على ذلك فلم يبعد فيهم وعطفته على ذلك المومن
القرابة ولما ظهرت ايات الله سبحانه وتعالى على يد موسى عليه السلام
بحضرة فرعون جمع بطانته ووزراءه وفيهم ذلك المومن
فشاورهم في امر موسى عليه السلام فاتفقوا على ان الواجب
مطاولته موسى وجمع السحرة لمناومته وكان راي فرعون
معاجلة موسى بالقتل وبذلك اخبر الله سبحانه في قوله قالوا
ارجه واخاه وابعث في المداين حاشرين ياتوك بكل سحار
عليم وقال عز من قايل عليم وقال فرعون ذروني اقتل
موسى الاية ولما اطلع وزراءه على رايه في موسى عليه السلام
امسكوا عن مراجعته هيبة له واشفق ذلك المومن ان
يبطش فرعون بموسى ان يقول ربي الله وقد جاكم بالبينات
من ربكم ثم كانه استقال فراجع التقية والحذر والتورية
فقال

عليه السلام فعجلوا فيه فصرح وما مضى الى ان قال اتقتلون رجلا

فقال ما اخبر الله عنه وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك
صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فلما سمع فرعون
مقالته غضب وامر به فسجن ثم شاور بطانته
ووزراءه في امره فاشاروا بان يبسط عليه العذاب
ثم يقتله ليرتدع من كان على مثل رايه فكره فرعون
ذلك وعطفته عليه القرابة وامر وزراءه ان يصبروا
الى ذلك المومن فيعظوه وينصحوه ويامروه بمراجعة
ما كان عليه من الطاعة ويخوفوه عاقبة خلافه ففعلوا
ذلك فلما سمع مقالتهم دعاهم الى الله واذكرهم
ما عاينوه من الايات وحذرهم زوال نعمة الله عنهم
وقال ما اخبر الله عنه وهو قوله تعالى يا قوم ما لي ادعوكم
الى النجاة وتدعونني الى النار ويا قوم اني اخاف عليكم
يوم التناد الاية وقال ولقد جاكم يوسف من قبل بالبينات
الاية وقال فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله
ان الله بصير بالعباد وعاد القوم الى فرعون فاخبروه

عن المومن بنبوته عن المشاقفة والمنابذة والعصبية
لفرعون وان النصح لم يزده الا تمادياً على امره فساء ذلك
فرعون وشق عليه وخلا بنفسه يتفكر في امره فاتته ابنته
فسالته عن امره فاطلعها عليه فقالت ان عندي لك الفرج
مما انت فيه فلا تعجل على خاصتك وذوي قراباتك فانه
على ما تحب ولكنه لما راى موسى قد امتنع بالسلطان الذي في
عصاه وان قتله مجاهرةً غير ممكن تظاهر بما انكرته عليه
ليخادع موسى بذلك ويتمكن من مداخلته ومخاتلته وقتله
غيلة فكلما رايت وسمعت انما هو مكر لموسى وما
منعه ان يطلع وزراك على ذلك حين ذهبوا اليه الا انهم
اهل تهمة وحسد وبغي لم يطيقوا على مثل رايه ونصحه
فسر فرعون بذلك والقى الله في نصيحتها وقيل ان
اسية امراة فرعون هي التي امرتها بذلك فاحضر فرعون
ذلك المومن واعتذر اليه واكرمه وقال له قد علمت ما
انت قاصد اليه وساع فيه فقل ما بدا لك ان تقوله وافعل

ما

ما بدا لك ان تفعله فلست اهملك قال تعالى فوقاه الله سيئات ما
مكروا فهذه الوقاية هي ثمرة ذلك التفويض ثم قال ربنا
تبارك وتعالى وحاق بال فرعون سوء العذاب اي حاق بهم ما
ارادوه بذلك المومن من التعذيب وان كان عذاب الاخرة لا يجتمع
مع عذاب الاخرة الا في التسمية وهذا كقوله سبحانه وتعالى ولا
يحيق المكر السيء الا باهله واعلم رحمك الله واياي ان حقيقة
التفويض التسليم لاحكام الحكيم وهو الذي دل عليه المصطفى
صلى الله عليه وسلم بقوله قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا
وعلى الله فليتوكل المومنون فاس التفويض والباعث عليه انما هو
اعتقاد انه لا يكون من الخير والشر الا ما اراد الله كونه ولا يصح التفويض
ممن لم يعتقد ذلك ويتدين به وقد بالغ النبي صلى الله عليه وسلم
في التصريح به والنص عليه بقوله لعبد الله بن مسعود ليقل همك ما قدر
ياتك وما لم يقدر لم ياتك واعلم رحمك الله واياي ان الخلق لو جهدوا
ان ينفعوك بشي لم يكتبه الله عز وجل لك لم يقدروا وعلى ذلك قال
صلى الله عليه وسلم ليقل همك امر بالتفويض وقوله ما قدر ياتك الى اخر
الكلام بيان للعلة التي من اجلها فوض العقلاء وسلموا الى الله عز وجل
ونحو ذلك ما رويناه في مسند مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في
هرية في كلام قاله له ان اصابك شي فلا تقل لو فعلت كذا وكذا لكان
كذا وكذا ولكن قل قدر الله تعالى وما شا فعل فان لو تفتح عمل
الشيطان لعنه الله فدل على التفويض والتسليم الى الله تعالى ويقتضي
التعريض على قدر الله تعالى والتعاطي لدفع مشيته ومما رويته

بسم الله
بسم الله الرحمن الرحيم

من صحيح مسلم عن البرا بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اخذت
مضجعك فتوضى وضوك للصلوة ثم اضطجع على شقك الايمن ثم قل اللهم
اني اسلمت وجهي اليك وفوضت امري اليك والجات ظهري اليك لا منجا
ولا ملجا منك الا اليك امنت بكتابك الذي انزلت ورسولك الذي
ارسلت الحديث **اسجاع وابيات حكمية في التفويض** معارضة
العلل الطبيعية بوجب تعذيبه انما الكيس الماهر من استسلم في قبض القاهر
اذا كانت مغالبة القدر مستحيلة فمن اعوان نفوذه الحيلة اذا
التبست المصادر ففوض الى القادر ان من الدلالة على ان الانسان
مصرف مغلوب ومدبر مربوب الحكم ان ينساله وان فيه بعض
الخطوب ويعمى عليه الصواب المطلوب فاذا كان ذلك فان تدميره
في تدبيره واغتياله في احتياله وهلكته في حركته **كما قيل** كان
الحجاج بن يوسف اذا تعارضت اراوه في خطب من الخطوب انشد

دعها سماوية تاتي على قدر … لا تفسدنها براي منك منكوس

وفي ذلك قلت شعرا

ايا من يعول في المشكلات … على ما اراد ودبره
اذا اشتكل الامر فابرا به … الى من يرى منه ما دبره
تكن بين عطف يقيد الخوف … ولطف يهون ما قدره
اذا كنت تجهل عقبى الامور … وما لك حول لا مقدره
فلم ذا العنا وعلام الاسى … وفيم الحذار وفيم الشره

وفي ذلك قلت شعرا

فارب مغتبط ومغبوط … براي فيه هلكه
ومنافس في ملك ما … يشقيه في الدارين ملكه
علم العواقب دونه … ستر ولبس يرام هتكه
ومعارض الاقدار بالآراء … سيئ الحال ضنكه
فكن امرءا محض اليقين … يزيف الشبهات سبكه
تفويضه لا توحيده … وعناد المقدار شركه

روضة رائقة ورياضة فائقة قيل لما بلغ
الوليد بن يزيد ان ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك قد ادعى
عليه الصدور وشرد عنه القلوب واستحاش اليمن عليه
ونازعه دار ملكه ساعيا في هلكه استوحش من
بطانته واحتجب عن سماره فدعا في عشية من عشايا فتية
حادثا له فقال انطلق متنكرا فقف في بعض الطرق
وتامل من يمر بك من الناس فاذا رايت كهلا رث الهيئة
والملبس يمشي هونا وهو مطرق فسلم عليه وقل له
ان امير المومنين يدعوك فان اسرع الاجابة فاتني
به وان تلكا او عارض او استراب فدعه واطلب غيره

حتى تاتيني برجل على الشرط الذي ذكرت لك فانطلق الخادم
فاتاه برجل على ما وصف وشرط فلما دخل الكهل على
الوليد بن يزيد حياه بتحية الخلفا وقام فامره الوليد
بالدنو والجلوس وامهله الى ان ذهبت روعته وسكن
جاشه ثم اقبل عليه فقال له أتحسن مسامرة الخلفا
فقال الكهل نعم احسنها يا امير المومنين فقال له الوليد ان
كنت تحسن المسامرة فاخبرنا ما هي فقال الكهل المسامرة
اخبار المنصت وانصات المخبر ومفاوضة فيما يعجب ويليق
فقال له الوليد احسنت ايها الرجل لا اريد لك امتحانا
فقل ننصت لقولك فقال الكهل يا امير المومنين ان المسامرة
صفتان لا ثالث لهما احدهما خبر بما يوافق خبرا اسمعه
والثاني اخبار بما يوافق غرضا مقترحا واني لم اسمع
بحضرة امير المومنين حديثا فاحذو على مثاله ولا
اقترح على امير المومنين سلوك طريقة فانحو نحوها
والزم اسلوبها فقال له الوليد صدقت وها نحن

نقترح

نقترح عليك ونرسم لك رسمًا لتقتفيه انه بلغنا ان
رجلا من عشيرتنا سعى فيما يضيم ملكنا فاتى سيفه
وشق ذلك علينا وبلغ منا فهل عندك الى علمك فقال الكهل
نعم فقال الوليد قل الان على حسبها ثم الدليل بسند
وعلى حسب ما ترضى من التبيين فقال الكهل يا امير
المومنين بلغني ان امير المومنين عبد الملك بن مروان
لما ندب الناس لقتال عبد الله بن الزبير وخرج بجيشه
متوجها الى مكة حرسها الله تعالى استصحب عمرو بن سعيد
من الشام وكان عمرو بن سعيد قد انطوى على دغل نيته وفساد
طويته وطمعا في نيل الخلافة وكان امير المومنين عبد الملك
بن مروان قد تفطن لذلك الا انه تغافل عليه لتاكيد حرمته فلما
فصل امير المومنين عن دمشق وسار عنها اياما واستمر به
السير تمارض عمرو بن سعيد فاستاذن امير المومنين في العود
الى دمشق فاذن له فلما دخل عمرو بن سعيد دمشق صعد
المنبر وخطب الناس خطبة نال فيها من الخليفة ودعا

الناس الى خلعه فاجابوه الى ذلك وبايعوه فاستولى على دمشق
وحصن سورها وسد ثغورها وبذل الرغائب فبلغ عبد
الملك وهو متوجه الى ابن الزبير وبلغه ان والي حمص قد نزع
يده من الطاعة وان اهل الثغور قد تشوفوا للخلاف وخرج
على وزرائه وبيده مخصرة يضرب بها عطفته فاطلعهم
على ما بلغه فقال لهم هذه دمشق دار ملكنا قد استولى
عليها عمرو بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير وقد استولى
على الحجاز والعراق ومصر واليمن وخراسان وهذا النعمان
بن بشير امير حمص وزفر بن الحارث امير قنسرين
ونائل بن قيس امير فلسطين قد نزعوا ايديهم من
الطاعة وبايعوا الناس لابن الزبير وقد تشوف اهل
الثغور الى الخلاف وهذه المضرية بسيوفهم على عواتقها
تطالبنا بقتلى المرج فلما سمعوا وزراءه مقالته
ذهلت عقولهم وعلموا ان لا مصدر ولا مفر فنكسوا
رؤوسهم ولم ينطقوا فقال لهم سبحان الله ما لكم لا تنطقون

احصرون غناكم فيه اوقت الحاجة اليكم فقال له افضلهم راي غنانا
عنك في هذا ازددت الي والله لئن تحرز على عود من اشجار تهامة
حتى تنقضي هذه الفتن فلما سمع عبد الملك مقالته ساجد علم ان
لا غناء عند وزرائه فقام عنهم وامرهم بلزوم مواضعهم وركب
من فوره وامر جماعة من شجعان اصحابه وفرسانه ان يركبوا في
السلاح ويتبعوه متبعدين عنه بحيث يرون اشارته اذا اشار
اليهم ففعلوا ذلك وسار عبد الملك واتبعه القوم على ما رسم
لهم فلم يزل سائرا حتى انتهى الى شيخ كبير السن ضعيف البدن
سيء الحال وهو يجمع السماق فسلم عليه عبد الملك وانسه بحديث
خفيف ثم قال ايها الشيخ الك علم بمنزل هذا العسكر فقال
الشيخ بلغني انهم نزلوا بموضع كذا فقال له عبد الملك هل سمعت
شيئا مما يقولوا الناس في امرهم فقال الشيخ ما سؤالك عنه فقال
عبد الملك اردت المحاورة والدخول في اصحابه والتعرض للحظوة
عنده فقال الشيخ ما اعطاك الله دينا وعقلا واحسبك حسيبا
سويا هل تحب ان انصح لك فيما انت قاصده فقال عبد الملك ما
تقول فقال الشيخ ينبغي لك ان تصرف نفسك عن هذا الراي الذي ترغب
اليه فان الامير الذي انت قاصده قد انحلت عرا ملكه وتباعد
اتباعه واضطربت اموره وان السلطان في حال اضطراب اموره
كالبحر في حال هيجه لا ينبغي ان يقرب فقال عبد الملك ايها
الشيخ ان الحاجة لم تبلغ بي مقالتك نفسي في كل ما ترغب اليه
واني اجدها تنزع الى صحبة هذا الامير نزعا شديدا ولا بد

لي من ذلك فهل لك ان تحسن الي فتخبرني بما تراه من الراي لهذا
الامير في تدبيره هذه الخطوب التي دهمته لاعرض ذلك الراي عليه
وانفق به عنده فلعله ان يكون سببا للفرج منه فقال الشيخ ان حكمة
الله وعزته ليقتضيان تحير العقول والاراء عن النفوذ في بعض
النوازل واني لاظن هذه النازله التي نزلت بهذا الخليفة من النوازل
التي لا تنفذ فيها العقول ولا تهتدي الى صواب تدبيرها الراي واني
لاكره ان ارد مسالتك بالخيبة فها انا اقول فيما سالتني عنه قولا
اقضي فيه حق رغبتك وان كنت لا اثق بنفسي فيه فان الخطب
عظيم جدا والخطر في تناهي عظمه فقال عبد الملك فلجزاك
الله خيرا فاني لارجو ان يسددك الله ويرشدك ويرشدني
بك الى الفلاح فقال الشيخ ان هذا الخليفه خرج لمحاربة
عدو فظهر في مشيئة الله انه لا يريد ما قصد له والدليل
على ذلك ان الله لم يرد قصده لمحاربة ابن الزبير انه قطعه
عن التمادي بما احدثه في دار مملكته من وثوب عمرو بن سعيد
بن العاص على منبره واستفساده لرعيته واستيلائه على
بيوت امواله وسرير خلافته واني مشير عليك ان تتفقد
حال هذا الامير وانتظار ما يكون منه فان رايته قد تمادى
فيما خرج له واصر على قصد ابن الزبير فاعلم بانه مخذول
لان الله سبحانه قد ظهر من حكمته امرا فقطعه عن التمادي
لما خرج له فاتى الحاجا وان رايته قد رجع من حيث جا
ونزل ما كان عليه فقد الله فارج له السلامة لانه مستقبل

مراجع

مراجع والله سبحانه اهل ان يقبل من استقاله ويرحم من رجع اليه فقال
له عبد الملك [illegible] وهل رجوعه الى دمشق الا كمسيره الى ابن الزبير
اذا كان من حكم الله ومشيئته ان قبض عنه قلوب رعيته الذين بدمشق
عن موالاته وبسط ايديهم بالبيعة لغيره فمسيره الى ابن الزبير كرجوعه
الى عمرو بن سعيد بن العاص لان كل واحد منهما حاصل على مملكة
متبعة ورعية مطيعة فقال الشيخ ان الذي اشكل عليك لواضح
بين وها انا ازيل عنك اللبس ان عبد الملك اذا قصد ابن الزبير
كان في صورة ظالم له فان ابن الزبير لم يعطه طاعة قط ولا وثب
له على مملكة وهو اذا قصد عمرو بن سعيد فانه نكث بيعته
وخان امانته وافسد رعيته وحملهم على النكث والغدر ووثب
على دار ملك لم يبق له ولا لابيه بل كانت لعبد الملك ولابيه
من قبله وعمرو بن سعيد عليها متعديا ولها مغتصب وكان
يقال سمين الغضب مهزول ووالي الغدر معزول وكان
يقال جيش العدوان مفلول وعرش الطغيان مثلول وساضرب
لك مثلا يزيل ما في النفس وينفي اللبس واودعه من فقر
الحكم ما يشحذ الفطن والالباب ويسفر عن وجه الصواب
زعموا ان ثعلبا كان يدعى ظالما وكان له جحر ياوي اليه وكان
مستطابا مغتبطا به لا يبتغي عنه حولا فخرج عنه يوما
يبتغي ما ياكل ثم رجع فوجد فيه حية فانتظر خروجها عنه فلم
تخرج وعلم انها قد استوطنته [illegible] وذلك ان الحية لا تتخذ
جحارا وتدخل الجحرة فتغتصبها وتطرد عنها ما كان فيها من

من الحيوان   قال الراجز يصف رجلاً بالظلم

وانت كالافعى التي لا تحتفر   ثم تجي سارده فتنجحر

ولهذا يقال فلان اظلم من حية لهذا اظلمها فلما راى ظالم ان الحية
قد وطنت جحره ولم يمكنه الكون معها ذهب يطلب
لنفسه ماوى فانتهى به التطواف الى جحر حسن الظاهر حصين
الموضع في ارض خصيبة ذات اشجار ملتفة وماء معين
فاعجبه وسال عنه فاخبر ان ذلك الجحر لثعلب يدعى
مفوضا وانه ورثه عن ابيه فناداه ظالم فخرج اليه ورحب
به وادخله الجحر وساله عما قصد له فقص عليه خبره وشكا
اليه ما ناله فرق له مفوض ثم اقبل عليه فقال له ان من الهمة
ان لا تقصر عن مطالبة عدوك وان تستفرغ جهدك في ابتغاء
دفعه وهلكه فانه كان يقال من هيب عدوه فقد جهز الى
نفسه جيشا وكان يقال رب حيلة انفع من قبيلة وكان يقال
الموت في طلب الثار خير من الحيوة في العار وكان يقال اذا
طالبت عدوك بالقوة فلا تقدم عليه حتى تعلم ضعفه
عنك واذا طالبته بالمكيدة فلا يعظمن عندك وان كان
عظيما والراي عندي ان تنطلق معي الى ماواك الذي انتزع
عنك حتى اطلع عليه لعلي اهتدي الى وجه المكيدة
في تمكنك منه فان افضل الراي ما اسس على الروية
وقيل ان الراي يفسد بثلاثة اسباب احدها ان تكثر
الشركا فيه فاذا كان ذلك انتشر التدبير وبطل والثاني

ان

ان يكون الشركا متحاسدين فيدخل الهوى والبغي فيفسد والثالث
ان يملك التدبير من غاب عن الامر دون من باشره وشاهده
واذا كان ذلك دخله فقد المباشرة الحاضر وفوت الغرض ثم
ان تدبير المسموعات مؤسس على ظنون الخبر وتدبير
المبصرات موسس على يقين النظر قال فانطلقا معا الى ذلك الجحر
فتامله مفوض وعلم ما اراد علمه من امره ثم اقبل على ظالم فقال
له قد شاهدت من امر مسكنك ما فتح لي باب المكيدة وسفر لي عن
وجه الراي فيه فقال له ظالم اطلعني على ما ظهر لك فقال مفوض
ان اضعف الراي ما سنح في البديهة وكان يقال الراي مراة العقل
ولما كان امضى السيوف ما بولغ في ارهاف حده واجيد صقله
وان اصح الاراء ما كثر امتحانه واطيل تامله وكان يقال كل راي لم
يتمحص فيه الفكر ليلة كاملة فهو مولود لغير تمام فقال له مفوض
انطلق معي فبت الليلة عندي لانظر ليلتي هذه فيما سنح لي من
المكيدة ففعلا وبات مفوض مفكرا طول ليلته في ذلك وجعل
ظالم يتامل مسكن مفوض فراى من سعته وطيب تربته وحصانته
وكثرة مرافقه ما اشتد له اعجابه وحرصه عليه وطفق يدبر
الحيلة في غصبه ونفي مفوض عنه وكان يقال اللئيم كان الناس كلهم
في اضرابها وكالحيم جبسها سلبها وتبعها صريعها وكان يقال
اذا كانت الاساءة طبعا لم يملك الاحسان لها دفعا وكان يقال
العاقل يقدم التجربة على التقريب والاختبار على الاختيار
والثقة على المقة فلما اصبحا قال مفوض لظالم اني رايت

ذلك الحجار لموضع بعيد من الشجر والما فاصرف نفسك وهواك عنك على
انتحار مسكن غير المكان المتيسر الموافق فقال له طالم ذلك لا يمكنني
لان نفسي لي نفسًا تهلك لبعد الوطن حنينًا ولا ملك مع فقد
السكن سكونًا وكان يقال دلايل الوفا سبع بر الاباء والامهات
وصلة ذوي القرابات والنزاع الى الوطن والحنين لفقد السكن والحنين
لاخلاق الشباب والصبر على هرم الدواب وكان يقال الغريب ميت
الاحياء فدعاه ابن اثر بعد عين وقيل ان اسم الغربة
مجموع من اسماء الله لحصول الغربة فالغين من غدر
وغيبة وغبن وغم وغلة وهي مرارة الحزن وغبرة وغول
وهي كل مهلكة والرا من رزية فرح وهو الهلاك والباس بلوى
وترح وهي الواهية وبوار وهو الهلاك والها من هوان وهول
وهم وهلك فلما سمع مفوض مقالة طالم وما تظهر به من الرغبة
في وطنه قال له الراي ان تذهب فنحتطب حطبًا ونربط منه
حزمتين فاذا اقبل الليل انطلقت الى بعض هذه الخيام فاخذت
قبس نار واحتملنا الحطب والقبس وقصدنا الى مسكنك فجعلنا
الحزمتين على بابه واضرمناهما نارًا فان خرجت الحية احترقت
وان لزمت الحجار احرقها الدخان فقال طالم نعم الراي هذا
فانطلقا فاحتطبا وربطا حزمتين بقدر ما يطيقان حمله
ولما جا الليل وظلم وهدا ورقد اهل الخيام انطلق مفوض لياخذ
قبسًا فعمد طالم الى احدى الحزمتين فان الهمال موضع غيبها
فيه ثم احتمل الحزمة الاخرى الى باب مسكن مفوض وادخله

وحذتها

حذتها وادخلها في الباب فسدته وقدر في نفسه ان مفوض اذا اتى
الحجار لم يمكنه الدخول اليه لحصانته ولان بابه مسدود بالحطب
سدًا محكمًا فاكثر ما تقدر عليه ان يحاصرني فاذا يئس منه ذهب
فنظر لنفسه مأوا وقد كان ظالما راي في حجار مفوض اصلح واحرز ما
مفوض لنفسه فعول ظالما على الاقتيات منها من الحصار
وكان يقال الشره والحرص والبغي من فساد هذا الراي وانه متعرض
لمثل ما عزم عليه مفوض بفعاله الجيد وكان يقال احترز من تدبير ك
على عدوك كاحترازك من تدبيره عليك فرب هالك لما دبر
ومكروه ساقط في البير التي احتفر وجريح بالسلاح الذي اشتهر
ثم ان مفوضًا جا بالقبس فلم يجد ظالما ولا وجد الحطب فظن
ان ظالما قد احتمل الحزمتين معًا تخفيفًا عنه وانه بادر بهما
نحو الحية اشفاقًا ان يأتي مفوض فيحمل احداهما فيشق ذلك عليه
وظهر له من الراي ان يترك القبس ويبادر اليه ليحمل معه الحطب
فالقى القبس من يده فتركه ان تقد النار فيحتاج الى طلب قبس
اخر فادخله في باب حجاره ليستره بذلك فاصاب الحطب فاضرمته
النار فاحترق ظالم وحار مكره فلما اصبح اطلع مفوض على
امر ظالم قال ما رايت كالبغي سلاحًا اكثر عمله في صاحبه
ولهذا قيل الباغي باحث عن حتفه بظلفه ومتردي في مهاوي
تدميره بمساوي تدبيره وقيل ما اجتمع الملك والبغي الا خلا×
وقيل ما اعطى البغي احدًا شيئًا الا اخذ منه اضعافه ثم ان
مفوضًا امهل حتى طفت النار واستخرج جيفة ظالم فالقاها

×وقيل الظلم عاقبته ترد لصاحبه قال الشاعر البغي مطيته على الظالم نافذة بصرعة

ففطن واوطن محاره على حال تحفظ واحتراز واستعداد لكيد الكائد بن
مثل عمرو بن سعيد في تغلبه ومحادثته عبد الملك ومخالفته الى دار مملكته
وتحصنه فيها وقد كان عبد الملك في مخرجه الى محاربة ابن الزبير
عاملا فيما يريد عمرو بن سعيد فيقال الملك في اهل بيته اذ كان عن عبد
الملك عزل عمرو بن سعيد وما كيد ملكه له فلم يرض عمرو بن سعيد ولا اعانه
على مصلحة نفسه وبعل لفعل ظالم مع مفوض سوا قال فلما سمع
عبد الملك ما ضربه الشيخ من المثال واستبصر فيما اودعه من الحكم سره
بذلك سرورا شديدا ثم اقبل على الشيخ فقال له جزيت خيرا فقد
عظمت يدك عندي واني لاوثر ان يجعل بيني وبينك موعدا او تذكر
لي مكانا لالقاك به بعد يومي هذا فقال له الشيخ وما الذي تريد بذلك
فقال عبد الملك اني اود ان اسع بذلك عند الامير فاكافيك على ما
كان منك فقال الشيخ اني اعطيت لله عهدا ان لا احمل منة
لبخيل فقال عبد الملك ومن اين علمت بخلي فقال الشيخ كيف لا اعلم
ذلك وقد رجات صلتي ومكافاتي مع القدرة عليهما هما عليك لو
وصلتني ببعض ما ارى عليك من السلاح والبزة السنية فقال
عبد الملك اقسم بالله لقد ذهلت ثم نزع سيفه وقال اقبل مني
سيفي هذا ولا تخدع فيه فان قيمته عشرون الف درهم فقال الشيخ
اني لا اقبل صلة ذاهل قد غني ورب الدول لا يبخل ولا يذهل هو
حسبي فلما سمع عبد الملك مقالته علم فضله في دينه وقال
انا عبد الملك فاعتمد لي وارفع حوائجك الي فقال وانا ايضا عبد الملك
فهلم نرفع حوائجنا الى من انا وانت له عبدان فانطلق عبد الملك

نعمل

نعمل برايه فانح فلما سمع الوليد بن يزيد ما اخبره به ذلك الكهل استرجح
عقله واستظرف ادبه وسأله عن نفسه فسمى له فلم يعرفه الوليد
واستحيى منه وقال ان من جهل مثلك من رعيته لمضيع فقال له الكهل
يا امير المؤمنين ان الملوك لا تعرف الا من تعرف اليهم ولزم ابوابهم فقال
الوليد كلا والله لا نوسعنا عذرا الا نستحفه ثم امر له بصلة معجلة
وعهد اليه في ملازمة بابه غدا فكان يسمع من ادبه وحكمه الى ان
كان من امره ما هو مشهور

روضة رابعة ورياضة نافعة قيل

عزم امير المؤمنين محمد الامين على اخراج عهد الخلافة من اخيه عبد الله
المامون والمامون اذ ذاك مقيم بخراسان كتب اليه الامين كتابا
يذكر فيه لحاجته الى القائه ومفاوضته في مهم حدث له وذكر
له ان يستنيب بخراسان من يضبطها ويعجل الشخوص الى بغداد وكتب
الى المامون عيونه الذين ببغداد ان الامين يريد خلعه من عهد الخلافة
ونقل عهده الى موسى بن محمد الامين فلما وقف المامون على ما كتب
به اخوه وعيونه شاور وزراءه فاشاروا عليه بالتثبت والتعلل
والاعتذار بشغب خراسان وتطلع من يليها من الكفار الى الفرصة
فيها وانه لا يجد من يثق بكفايته فيها فكتب المامون الى الامين بذلك
فعاود الامين مكاتبته يستحثه وانه لو قدم عليه لقلبته ببغداد
حتى يرجع وانما يريده كي يفاوضه في خطب جسيم لا يودع مثله
الكتب فحين وصل الكتاب الى المامون اطلع عليه وزراءه
واستشارهم فاشاروا عليه بمثل مشورتهم الاول فكتب اليه بنحو ما
كتب اليه اولا وكتب الى الامين عيونه بخراسان الى المامون

قد فطن لما يريد منه وانه يمتنع وان وزراه اجمعوا على امره بالامتناع
فبعث الامين من تمام مكيدته لاخيه وامر بالقبض على من كان ببغداد
من حشم المامون وحرمه وبطانته وما ظهر عليه من امواله وبلغ ذلك
المامون فاستخفه الجزع وشاور وزراه فثبتوا رايهم وحضوه
على التثبت وانتظار الفرج ففعل فلما راى الامين اصرار اخيه المامون
على الامتناع دعا الناس الى البيعة لابنه موسى وهو طفل فاجابوه
الى ذلك وبايعوه وسماه الناطق بالحق واستكفل ابنه علي بن عيسى
بن ماهان فجعله في حجره وكان علي بن عيسى قد ولي خراسان
قبل ذلك مدة طويلة فاصطنع بها الرجال واعتقد المنن في
الاعماق وكان شانه عظيما فاستشاره الامين في امر خراسان
فضمن له امرها واخبره انه اذا بلغ خراسان لم يختلف
عليه اثنان فسيرها فجهزه الامين اليها وولاه كل بلد يتغلب عليه
واعطاه اموالا جزيلة وجهز معه جمهور جنوده واصحبه
من السلاح والكراع ما شاء وبلغ ذلك المامون فاضطرب امره
وعلم عجزه عن مقاومة علي بن عيسى فركب الى منتزه له ليناظر
وزراه في امره فعارضه شيخ هرم من الفرس فناداه بالفارسية
مستغيثا به من مظلمة نالته فلما نظر المامون الى هرمه رق له
وامر ان يحمل على دابة يتبع به الى الموضع الذي قصده ويدخل
عليه بغير استيذان ولما استقر المامون ووزراه بذلك
الموضع الذي قصد له ادخل عليه الفارسي فامره بالجلوس في حاشية
المجلس ثم اقبل على اصحابه فاخبرهم بما صنعه اخوه الامين

من

من القبض على حاشيته وماله وتجهيزه علي بن عيسى وهو يظن ان الشيخ
لا يحسن اللسان العربي وانما به من الهرم تشاغل له عن الاصغاء الى ما هم فيه
مع ما حمله على ذلك من القلق والاضطراب فلما راى القوم ان المامون لم
يتحفظ من الشيخ تفاوضوا فيما قصه وقالوا وطالت مناظرتهم الى ان
قال احدهم الراي اصطناع قوم من الاعاجم لا يعرفون علي بن عيسى فيلقى
بهم وقال غيره الراي ان تبادر بالارسال الى الامين وتطلب منه الصفح
وتبذل الطاعة والانقياد لامره فانه يريد ذلك حظا وقال غيره بل
الراي ان نلجا الى حصن فنعتصم به وننتظر الفرج وقال غيره الراي ان
نجمع اهل النجدة فنزحف عليهم ثم نقصد بهم بعض هذه الممالك المجاورة
لنا من ممالك الكفار فنقصدهم بالقتال فلعل الله ان يظفرنا فنصير
الى مملكة نتقوى بها ونترك البلاد لمن هو على مثل رايتنا فنمتنع ونجاهد
في سبيل الله حتى يقضي الله امره وقال غيره الراي عندي ايها الامير
ان تنحاز الى ملك الترك تستجير به ومستغيثا على الخليل الغادر
القاطع فهذا امر لم يزل الملوك تفعله اذا دهمها ما لا طاقة لها به فلما
سمع المامون هذه المقالة ركن اليها وعول على هذا الراي ثم فكر
فقال كيف اجعل للترك على المومنين سبيلا وقال لاصحابه قوموا عني
فنهضوا عنه اجمعين والتفت فراى الشيخ الفارسي فقد جد ورفق
به وساله عن امره وما قصد له على لسان ترجمان اقامه له فقال
الشيخ بلسان عربي اني جئت لحاجة فعرض لي دونها ما هو اهم منها
واولى بالعناية فقال له المامون فلما جئت سالك [illegible]
فقال له الشيخ ايها الامير اني دخلت عليك وانا غير متصف بالمحبة

اكرمتم الفى الله فى قلبى من المحبة للامير ما ملأه وكان يقال الرق ثلثة انواع
فاولها واشدها استعبادًا للظاهر والباطن رق الاختراع وهو الرق
لله صانع الاشيا ومخترعها والثاني رق الاصطناع وهو رق المنعم عليه
للمنعم والثالث رق الابتياع وهو صنفان احدهما رق الحب وهو اقربها
الى رق الاختراع لان له سلطانا مبسوطا على الظاهر والباطن والثاني
رق الرغبة لراغبيها ورق العبيد لساداتها وانا اخبر الامير اعزه الله
انه قد ربطا فيّ له على ثلث قوى من الرق رق الحب ورق الاصطناع
ورق الابتياع فان راى الامير ايده الله ان يوصل وسيلتي ويصدق
املي ويسعف طلبتي فيلحقني بدار اختصاصه لعل ذلك معو منتطولا
به غير محتاج اليه وان منعه لا ارجو ان يصادف الصنيعة منه شاكرا
والاختصاص منه مشفقا ناصحا فقال له المامون ما دينك ايها الشيخ
فقال مجوسي فاطرق المامون مفكرا فيما تكلم به فقال الشيخ لا يصدن
الامير عني حقارة قدري ولا ركاكة ديني فانه كان يقال لا تحقرن
من الاتباع احدا انما تنتفع به كائنا من كان وهو احد رجلين
اما شريف فتتجمل به واما وضيع فيحمي عرضك ويصون مروتك
وعلى اني لست اعني بحقارة قدري عند الامير حقارة اخلاقي
ولا حقارة اعراقي فاما اخلاقي فامتحانها بيد الامير واما اعراقي
فاني برهمي من ولد البرهميين سيد ملوك القرن المتوسط بينها
وبين الاوايل وانما اعني حقارة ديني وكوني في عقد ذمة وصغار
وجزية فقال المامون ما منعك ايها الشيخ عن رغبة وان انتقلت
من دينك الى ملتنا التي جعلناك شعارا فقال الشيخ ان الباعث من

نفسي

نفسي الى ما دعاني اليه الامير لشديد ولكني لا اجعله في مقابلة هذا الذي
افعله فيما بعد ثم قال ايأذن لي الامير ان اتكلم فيما فاوض به الان
وزراه فقال المامون قل فقال الشيخ قد سمعت ما اشاروا به وزرا
الامير وكل منهم مجتهد في الاصابة ولست ارضى بشيء مما ذهبوا اليه
فقال له المامون اطلعنا على رايك فقال الشيخ اني احد من الحكم التي ورثها
اباي عن ابائهم انه ينبغي للعاقل اذا دهمه ما لا طاقة له به ان يلزم
قلبه التسليم لحكم الحكيم فانه لحظوظه ولا يضيع مع ذلك نصيبه
من الدفاع بحسب طاقته فانه ان لم يحصل على الظفر حصل على
العذر فقال المامون ايها الشيخ انه كان يقال لا راي لمكذوب وقد
سمحت انفسنا لك بالنفقة من غير امتحان وما ذاك الا لاختيارنا
اصابة الحزم ولكن احببنا ان تكون لذلك مرة حسبنا بالمواثقة
على القبول وها نحن نخبرك ان هذا المتوجه الينا علي بن عيسى بن ماهان
وهو املك بالبلد منا ثم لا تمكننا منعه ومنه لو اردنا ذلك لتعذر
الاموال قبلنا فقال الشيخ ايها الامير ينبغي ان تمحو حكم هذا الامر
من قلبك بالجملة وان لا تصغي الى من يبطو به وكان يقال ما اكثر
من كثرة البغي ولا اقوى من قوة الظالم ولا املك من ملكة الغضب
وها انا احدثك عن من حاول حرفه ان نلت مثاله فقال له المامون
هات فقال الشيخ زعموا ان الخشنوار ملك الهياطلة لما اسر فيروز
بن يزدجرد ملك فارس واراد اطلاقه اخذ عليه عهدا ان لا يغزوه
ولا يقصده بمكروه ووضع في اقصى تخوم ارض الهياطلة صخرة واخذ
على فيروز عهدا ان لا يتجاوز تلك الصخرة ولما استوثق الخشنوار

من فيروز بما اخذ عليه من عهود المسالمة اطلقه نحين رجع
فيروز الى دار مملكته داخلته الحمية والانفة فعزم على غزو
الخشنوار واطلع وزراه على ذلك فحذروه النكث وخوفوه عاقبة
البغي فما ردعه ذلك عما تهمّ به واذكروه العهود التي اخذها عليه
الخشنوار فقال لهم اني انما حلفت له ان لا اتجاوز تلك الصخرة
وانا امر بحملها على فيل فتكون بين يدي جنودي لا يتجاوزها
احد منهم فلما راوا ان الهوى قد وقف به على حد الرضى بهذا القول
علموا انقياد عقله لشهوته فامسكوا عنه واعتقدوا الابراء من ذلك
وكان يقال الهوى ضد العقل فلا ينطبع فيه صورة الحقائق
وكان يقال ما لم يبلغ الهوى حد اللجاج فهو نشوة السكر فاذا بلغ
اللجاج فهو السكر وقوة سلطانه وكان يقال لا يرشد تابع الهوى
في حال استيلاء الشهوة والغضب لانها حال احتجاب عقله وذلك
ان الهوى اصل بالنفس لتقدم سلطانه عليها فاما سلطان العقل
فطاري مستفاد وللعقل حجابان وهما الشهوة والغضب ولا يزال
العقل ناظرا الى الهوى فاهرا له ما لم تحجبه غضب او شهوة فحينئذ
ينبسط سلطان الهوى وينفذ حكمه **قال** فجمع فيروز مرازبته
وهم الغد يتبع كل مرزبان منهم خمسون الف مقاتل وكان كل واحد منهم
ضابطا الربع من ارباع مملكته وامرهم بالتجهيز لحرب الهياطلة
ففعلوا وسار فيروز نحو الخشنوار في جيوش لا يطن ان لا غالب لها وكان
الخشنوار يضعف عن مقاومة مرزبان من مرازبته فيروز
لا سيما كان موبذان ومعنى هذا اللقب حافظ الدين وهم عند

الفرس

الفرس كالنبي فقال لفيروز حين راى عزمه على غزو الخشنوار لا تفعل
ايها الملك فان رب العالم يمهل الملوك على الجور ما لم ياخذوا في هدم
اركان الشريعة فاذا اخذوا في هدم اركان الشريعة لم يمهلهم وان
العهود والمواثيق ركن من اركان الشريعة فلا تتعرض لها بسوء فلم يلتفت
فيروز الى مقالة موبذان وركب راسه في معصية نصحائه وكان
يقال يستدل على ادبار الملك بخمسة امور احدها ان يستكفي
الملوك الاحداث ومن لا خبرة عنده بالعواقب والثاني ان يتصل
هم مودته بالاذى والثالث ان ينقص خراجه عن قدر مؤونة
ملكه والرابع ان يكون تقريبه وابعاده للهوى لا للراي والخامس
استهانته بنصائح العقلاء واراء ذوي الحكمة والحنكة وكان
يقال انما يكون قبول الصواب ورده بحسب قوة التخييل الفكري
وضعفه فمن قوي تخييل فكره فهو في سلطان الراي غالبا وعلى
حكم هذا القانون فمن عدم الفكرة في الامور التحق بالبهائم ثم
قال المسرح الفارسي ثم ان فيروز سار قاصدا نحو الخشنوار
حتى انتهى الى تلك الصخرة التي نصبها الخشنوار علما لتخوم ارضه واستحلف
فيروز ان لا يتخطاها فامر فيروز بقلعها وحملها على فيل وان يكون
الفيل الذي يحملها بين يدي عسكره ونهى ان يتجاوز ذلك الفيل
احد من العسكر فما بعد عن ذلك الموضع الذي كانت الصخرة
فيه حتى جاءه رجل من ثقاة قومه واصحابه واخبره ان اسوارا من
اساورته عظيم القدر قتل رجلا مسكينا ظلما وعدوانا وجاء اخو
ذلك المسكين المقتول مستغيثا بفيروز متظلما من الاسوار

قاتل اخيه فامر له فيروز بمال ليرضيه بدم اخيه فابى قبول المال
وقال لا ارضى الا بدم قاتل اخي فامر فيروز بطرده فانطلق من فوره
الى ذلك الاسوار الذى قتل اخيه وبيده خنجر فلما راه الاسوار حرك
فرسه هاربا بين يديه وانتهى الخبر الى فيروز فتعجب من ذلك ونزل
ورس من وزرا فيروز عن دابته وتقدم الى فيروز فسجد له وساله
فيروز عن امره فذكر له انه يريد الخلوة به الى مهم عرض له فامر
فيروز بضرب له فسطاطا فنزل فيه واذن له الدخول فدخل
عليه وامره بذكر ما عنده فقال ايها الملك السعيد ملكت الاقاليم
السبعة وعمرت عمرى راسب في سبيل عزمه وقوته ولقد ظهرت
عناية اول الاول لك مما ضربه لك مثلا في مثل هذا الاسوار اذ كان
اسوار احد ... مسكين في يده خنجر وما ذاك الا
لبغيه وتعديه فقال فيروز انه لم يظهر منه العجز عنده ولكن لخوفه
منا فقال الوزير ايها الملك ارايت ان دعوته الى مبارزة ذلك المسكين
الثائر باخيه فاجاب الى ذلك وجمع عليه سلاحه وركب فرسه
واتى الى ذلك المسكين فحرضت عليه مبارزته واظهر الرغبة فيها
والحرص عليها تخوف من الهلاك فلم يخف فقيل له اما ترى فرسه
ودرعه وسلاحه اما سمعت بفروسته وتجربته واقدامه مع انك
مهلك نفسك وتسميت ولا اثم علينا وبك فقال لهم المسكين
واياه فانه على فرس الغرور وانا على فرس البصيرة وهو لابس
درع الشك وانا لابس درع الثقة وهو مقاتل بسيف الباطل وانا
مقاتل بسيف الحق فقال الوزير ايها الملك ان كلام هذا المسكين ابلغ في

في المثل

في المثل والموعظة من ظفره بهذا الاسوار فصبر اسوارك واستبق
نفسه ولا تعرضه للهلاك وتلقا هذا المسكين بالاحسان اليه فان
لم يرضه الا القصاص فقصه له بالعدل المالوف منك واستدم عناية
الاول الاحد بعنايتك بالحق الذي يرضيه المعرابه ويسخطه اجتنابه
فقال فيروز لابد ان اخلي سبيلهما وانظر ما يكون منهما ان كان المسكين
يختار ذلك ويرغب فيه فلما دعوا فيروز مبارزة الاسوار على المسكين قام
على ذلك وحرص عليه تخوفهم الهلاك فلم يرده تخوفهم الا جراة
واقداما ثم قالوا للاسوار القه ولا تخش غدره فحمل كل واحد
منهما على صاحبه فالتقيا وقبض المسكين على شكيمة فرس الاسوار
وضربه الاسوار ضربة بطا طالها المسكين واصاب ذباب
السيف البيضة فاثر فيها اثر السيف بالكبر ثم ثار اليه المسكين
فضربه بالخنجر في عنقه وجر به ثم عدم ضربه وهو ملقى ضربة
اخرى فادخل حلقات الدرع في جوفه وقضى عليه ... فبات
فيروز تلك الليلة في موضعه ذلك يتفكر فيما راه ثم انه استقاد
لهواه يتبعه لوجهه وكان يقال الهوى طاعته من ملكه اهلكه
وكان يقال الهوى كالنار اذا استحكم ايقادها عسر اخمادها وكالسيول
اذا اتصل مددها تعذر صدها وكان يقال ليس الاسير من
اوثقه عداه اسرا انما الاسير من اوثقه هواه تشرا واوهقه
خسرا ثم قال الشيخ ولما علم الخنشوار قصد فيروز لحربه
حمل نفسه على التثبت ووكل الامر الى الاول الاحد وساله ان
يغضب لعهوده ومواثيقه التي لم يرع فيروز حقها ولا

خاف نقمة نكث بها واخذ مع ذلك بحظه من الحزم فبث الثغور وجمع
اليه جنده والقى للقا نيروز عدته واحمد نيروز كثير امن بلاده
وتوسط مملكته وعاث في بلاده وساعدته عتبة امره فنهض
اليه جاه وصدقه الجلاد فانكشف نيروز منهزما واسلم ما كان في يده
فقتل الحنثوا رجاله وغنم امواله وامعن في طلب نيروز حتى ظفر
به فقتله واسر اهل بيته وحماة اصحابه وكانت العاقبة له قبل فلما
عرف المامون ما ضربه له الفارسي مثلا اقبل عليه وقال له قد سمعنا
مقالتك وصادفت منا قبولا وشكرا عليها وسرورا بها فما ترى
فيما دعوناك اليه من توحيد الذي اجزل من العقل حظك وقطع
محمد صلى الله عليه وسلم عذرك فقال الشيخ اشهد ان لا اله الا
الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر المامون باسلامه
سرورا شديدا واجزل صلته وقرب منزلته والحقه
بخاصة اصحابه وامره بملازمة بابه فما لبث الا ايا ما قلايل
حتى لحق بالله تعالى وكان المامون يعلن برايه فالحح الله عمله ولقبه
من الخلافة ما اماله

السلوانة الثانية سلوانة التأسي

قال الله عز وجل من السورة المذكورة وهي الاحزاب ايات معجزات
طبقن المفصل المقصود بهذا الفصل وهو تاسي الملوك في طوام العوام
والله تعالى المحمود على الهداية اليها والدلالة عليها وذلك قوله تعالى
في المتالين على خليقته في ارضه الى مندوبه وفرضه صلى الله عليه
وسلم اذ جاوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر وقال هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا

زلزالا

السلوانة الثانية
سلوانة التاسي

زلزالا شديدا وقال في تردد من ضعفت بصيرته حتى شك وظنون
بالله الظنونا وقال في نجوم النفاق وجراة اهله على اظهار ما كانوا يسترونه
حين زاغ المومنون قد ابتلوا وزلزلوا واذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقال في القاعدين
عن نصرة الحق المخذلين من اراد نصرة قد يعلم الله المعوقين منكم
والقايلين لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون الباس الا قليلا وقال فيهم واذ
قالت طايفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وقال في
المتسللين لواذا ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا
عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا وقال في تخاذل اسواق الفتن
الذين يتبعون كل ناعق ويجيبون كل داع ولو دخلت عليهم من
اقطارها ثم سيلوا الفتنة لاتوها الاية وقال في تعجيز القدر
عن مغالبة القدر قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت
او القتل الاية والتي بعدها وهي قوله سبحانه قل من ذا الذي يعصمكم
من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة الاية فجعل تجمل طوام العوام
والامتحان بها ثم ان الله تعالى دل من امتحن بها على ما ادب به رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان
يرجو الله وبما ادب به رسول الله التاسي قال تعالى ولقد كذبت
رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا الاية
ثم عرف رسوله صلى الله عليه وسلم بان اضاعته التاسي وتركه العمل
به لا يجعل اليه حظا فقال وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت
ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية واعلمه

ان التاسي بهم مفترض عليه بقوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من
الرسل وقوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فهذا الامر
حزم فيما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ربي ادبني فاحسن
تاديبي ولنتاسى بما ادبه الله به بقوله بل بما افترضه عليه كما
بينا ومعنى التاسي عند العرب ان تنظر الى ساعيرك اي حزنه وانه في
مثل الحال فتصبر ولا يعجبني هذا وهو عندي ماخوذ من قولهم اسوت
الجرح والجرح اي داويت والاسي هو الطبيب المداوي فكان معنى التاسي
هو التطبب والتداوي بالصبر والاسوة الاسم من هذا والتاسي تفعل من
الاسوة ولو كان على ما ذهبوا اليه لكان معنى التاسي التحزن بقول
اسيت اي حزنت وتاسيت اي تحزنت خبر نبوي ما رويناه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو
اعلى منكم فانه اجدر ان تزدروا نعمة الله عليكم قال محمد عفى الله عنه
ان هذا الحسن الموقع مما تحزنه ولا ينبغي ان تقتصر بلفظه عن
طرق افهامه وموجب شمومه انه امر لمن كان في نعمة دقيقة ان ينظر
الى من كان في بلاء اشد من بلائه فاندكونه واسفل منه في حظ المعافاة
المطلوبة وهذا المخفف عنه حظه اوفر واعلى فذو النعمة منعم
عليه ومحسن اليه بما يفوق ما انعم به على غيره وبمعافاته من
الابتلى بتلك الزيادة التي ابتلى بها غيره وانما كان هذا الخبر
بليغا في باب التاسي لانه يتقلل مستعظم البلا الذي نزل به الى ان
يستصغره باضافته الى ما ابتلى به غيره ويحضه على شكر ما فضل
به من حظ العافية التي فضل بها على غيره وهذه درجة اعلى من

درجة

درجة التاسي المطلق لان التاسي المطلق لا يفيد حظا على شكره ولا
يصور النقمة المحققة في صورة النعمة المحققة وانما يتم الصبر حاله
وهذا الحديث يتم المعنيين جميعا اسجاع وابيات حكمية في الباب
التاسي جنة البلاء وسنة النبلاء التاسي درج الاصطبار كما ان
الجزع درك النار انه ينبغي لذي البصيرة ان يرى النعم في صورة العواري
المرتجعة والودائع المسترجعة لئلا يفعل ذلك اعظم فقدها لجوهر
المنعم اذا استردها كما ينبغي له ان لا يذهب عن حظوظ جلسه
منها ودولهم فيها فاذا ازالت عنه وصارت اليهم لم يكن حرمهم انصباهم
ونفاستهم حظوظهم والتياس يصبرهم عند حادثة لها دونهم فليصبر
لدولتهم الحالقة كما صبر والدولة السالفة فكان سرقة المتصرفين
واقراض المقرضين وصافقة المصافقين وما يلتحق به تلك من ضروب
المواساة في المال والقوة وفي الجاه انما يذهب اليه المواسون فيه ليستبقوا
النعم باعطا الجنس حظوظهم منها وفي هذه الجملة الحكمية لمن تدبرها
معان والله المستعان انشدني بعض الملوك لنفسه في حال
شدة نزلت به

نحن من قد علمت بطشا وحلما ** ولنا المجد والمفاخر والاعز
ولنا انفس عوارف بالدهر ** تتاسى حاله بالسابقين

وحضرت عنده في يوم من ايام شدته فانشدني لنفسه

قربني دهري تقلبه فلم يلقني ** اطمع في نائبه تقربه
ثم نابا عني فلم يلقني ** اجزع من اصناف نغايبه
والحمد لله على حكمه ** فقوتي منه وحولي به

وقال يوما وقد حادثته فيما يبعثه على التاسي وانشدني في ذكر

شعراً فانشدني للخنساء هذه الابيات

الا يا صخر لا انساك حتى / افارق مهجتي ويشق رمسي
ولولا كثرة الباكين حولي / على اخوانهم لقتلت نفسي
ولا يبكون مثل اخي ولكن / أعزي النفس عنه بالتأسي

فقال هذا اخلق من طيلسان ابن حرب اسمع وانشدني لنفسه

تفيض كما يفيض السيل جوداً / وتقدم مثل اقدام الحسام
وان نزلت بنا كبر الرزايا / تأسينا باملاك كرام

روضة رائقة ورياضة فائقة

قيل

لما عزم سابور على الدخول الى بلاد الروم متنكراً متجسساً
نهاه نصحاؤه وحذروه التغرير بنفسه في امر يمكن ان يستنيب
فيه فعصاهم وكان يقال اشقى الناس وبهم الاحداث من الملوك
وعشاق القينات من الشيوخ وكان يقال انما عسر صرف الاحداث
عن غي الهوى الى رشد الراي لامرين احدهما فوت سلطان الشهوة
عليهم والثاني ان التجارب لم ترض قواهم على مخالفة هواهم
وذي الحنكة بخلاف ذلك ثم ان سابور توجه الى بلاد الروم
فاستصحب وزيراً كان له ولابيه من قبله وكان شيخاً ذا دهاء
وحزم وسداد راي وتبحر في العلوم وخبرة بالمكايد
فسلم اليه سابور جميع ما يظن ان به اليه حاجة او يدعو اليه
داعية وامره ان يتجاوزه في قرب منه ومراعاة في جميع احواله
في نهاره وليله وتوجها نحو الشام فتزيا ذلك الشيخ بزي
الرهبان وتكلم بلسان الجلالقة وتحرف بصناعة الطب الجراحي

وكان

وكان معه شيء من الدهن العجيب الذي اذا دهن منه الجراحات برئت
واندملت في الحال وكان ذلك الوزير في مسيره نحو بلاد الروم وبعد
ما دخلها يداوي الجرحى بادوية يضيف اليها شيئاً يسيراً من ذلك
الدهن فيبرا جراحهم في الحال واذا عني بالجرح من ذوي الاقدار داواه
بذلك الدهن صرفاً فيبرأ مكانه ولا يأخذ على المداواة اجراً فانتشر
له في بلاد الروم صيت بالعلم والزهد وكان يقال من غرس العلم
اجتنى النباهة ومن غرس الزهد اجتنى العز ومن غرس الاحسان
اجتنى المحبة ومن غرس الفكر اجتنى الحكمة ومن غرس الوقار
اجتنى المهابة ومن غرس المداراة اجتنى السلامة ومن غرس الكبر
اجتنى المقت ومن غرس الحرص اجتنى الذل ومن غرس
الحسد اجتنى الكمد وكان يقال الامم على اختلاف اديانها وازمانها
وبلدانها متفقة على اربع العلم والزهد والاحسان والامانة

قيل

فانطلق سابور ووزيره متفردين الا ان الوزير كان
يراعي احوال سابور اشد المراعاة ولم يزل الا خفياً طاف جميع الشام
وتجاوز الدروب وقصد القسطنطينية فقدماها
فذهب الوزير الى البطريك فاستاذن عليه فاذن له وساله
عما يريد فاخبره انه هاجر اليه من ارض الجلالقة ليتشرف
بخدمته ويدخل في اتباعه واهدى اليه هدية نفيسة حسن موقعها
مع البطريك واكرمه وقربه والحقه ببطانته فوجده اديباً
لبيباً فاعجب به غاية الاعجاب وجعل الوزير يتأمل اخلاق البطريك
ليصحبه بما يوافقه ويتقرب به عنده فانه كان يقال اذا اردت

ان تصحب نكسًا فانظر كيف تستعمله وتنفع عنده من الالات فان
كنت مطيقا للعمل بما في طلب اقباله عليك وحظوتك عنده
فاقدم عليه والا فوفر نفسك على ذلك حتى تعلم انك قد طاقته
واحكمته فتقدم على بصيرة ولما تامل وزير سابور اخلاق ذلك
البطريك وجده مائلا الى الفكاهات معجبا بنوادر الاخبار فاخذ
الوزير في اتحافه في ذلك بكل باكورة عجيبة وملحة غريبة فلم
تطل المدة في صحبته حتى خلا بعينه وقلبه وصار الصديق من
شعراته قصده وجعل مع ذلك يعالج الحرجا ولا ياخذ من ذلك
عوضا لعظم قدره في الناس وتمكنه من القلوب وكان يقال اذا كانت
القلوب مجبولة على مقة المحسن وكانت المحبة رقا والاحرار يكرهون
الاسترقاق فالحر على الحقيقة من فدا نفسه من رق المحسنين مكافيا
على احسانهم فهم حتى اذا لم يستطع فليرق نفسه لهم عذرا

قيل فجعل الوزير يتعهد احوال سابور في كل وقت الى
ان صنع قيصر وليمة وحشد الناس اليها وتهدد من تخلف عنها
فاراد سابور حضورها ليطلع على هيئة قيصر وهيئته في قومه
وذخائره فنهاه وزيره عن التغرير بنفسه فعصاه وتنكر بزي
بطن به تستره فدخل دار قيصر مع من حضر الوليمة وقد كان
قيصر لما بلغه ما ابتلاه الله به سابور من لطف الفطنة وعظم الهمة
وشدة الباس في حال صباه حذره حذرا شديدا وبعث الى مصور
مصورا ماهرا فحكى صورة سابور في مجلسه وحال ركوبه وغير
ذلك من ضروب الاحوال التي شاهده المصور عليها وقدم بتلك

الصورة على قيصر فامر قيصر بان تصور تلك الصورة على ابنيته مصورة
وفي الالات اكله وشربه فصنع ذلك على سائر ابنيته وبسطه
ولما دخل سابور دار قيصر واستقر في مجلسه مع من حضر ذلك المجلس
اتوا بالشراب في كؤوس من البلور والذهب والفضة والزجاج
المحكم وكان في المجلس رجل من حكماء الروم ودهاتهم ذو فراسة
صادقة فلما وقعت عينه على سابور انكره وجعل يتامل فرآى
عليه مخائل الرياسة فطفق يستشفه ولا يصرف بصره عنه فاتى
ذلك المتفرس الرومي بكاس فيه صورة سابور فتاملها فانطبعت
في نفسه مثالا لذلك الشخص الذي انكره وغلب عليه ظنه انه
سابور فامسك القدح في يده ثم قال رافعا صوته ان هذه الصورة
التي في هذا القدح تخبرني خبرا عجيبا فقيل له ما الذي تخبرك
فقال تخبرني ان الذي هي على مثاله لمعنا في مجلسنا هذا ونظر
الى سابور وقد تغير حين سمع مقالته فحقق ما ظنه واعاد القول
فبلغ ذلك الكلام قيصر فادناه وساله فاخبره ان سابور معه في
مجلسه واشار الى سابور فامر قيصر بالقبض عليه وقرب من قيصر
فساله عن نفسه فحاد بضروب من العلل فقال ذلك المتفرس
لا تقبلوا قوله فهو سابور لا محالة فامر قيصر بقتله ليهدده
بذلك فاعترف لهم بانه سابور وكان يقال قلوب الحكماء تستشف
الاسرار من لمحات الابصار وطالما دلت اوائل المبصرات
على اواخر المنتظرات **وقيل** كما ان الابصار مرائي تنطبع فيها
المشاهدات اذا سلمت من ضد الافات فكذلك القلوب تنطبع

منها القابيات اذا اسلمت مرصد النزوات **قيل** من الادلة على
مكاشفة الله القلوب ببعض الغيوب ان الانسان قد يتوقع الشي
الذي يكرهه او يحبه ثم يكون ذلك الشي الذي يتوقع على نحو ما
توقع منه فقد يرى الانسان الانسان فيحبه لغير سبب احسان
فرط منه اليه او يبغضه لغير اساءة جناها عليه ثم يكون منه
الاحسان او الاساءة **قيل** فلما اعترف سابور بصدق ذلك
المتقرب حبسه قيصر مكرما وامر ان يعمل له قبة من جلود البقر
وطوبقت عليه سبع طبقات واتخذ له باب الا يدخل ويخرج
منه وجعل فيها كوة من اسفلها في موضع المبال وامر ان تجمع يداه الى عنقه
بجامعة من الذهب ذات سلسلة يمكنه معها تناول الطعام
وغيره وادخل في جوف تلك الصورة وهذا بعد ان حشد قيصر
جنوده واستعد لغزو بلاد الفرس ووكل بتلك الصورة التي
فيها سابور ماية رجل من ذوي الباس والنوع يحملونها دولا بينهم
وجعل كل خمسة منهم رئيس يضبط امرهم وصرف امر جميعهم
الى المطران وهو خليفة البطريك وكانت تلك الصورة تحمل بين
يدي المطران فاذا نزل العسكر انزلت تلك الصورة في متوسط العسكر
وضرب عليها فسطاط ليسترها وطاف بها خمسون من الموكلين
بها وكاساهم معهم وضربت حولها عشر قباب مستديرة بها وكان
في كل قبة خمسة ورئيسهم وضربت للمطران قبة بجنب قبة
سابور وضربت خارج القباب كلها قبة يصنع فيها طعام
الموكلين بقبة سابور وسار قيصر محتفلا في جنوده وقد عزم
على

على اخراب بلاد فارس ويعقبه بعالم ملكهم لعلمه الا دافع
يدفعه عنهم وكان يقال الحزم التزام مواخاة العدو ما دامت
له دولته زمن اقبال كما ان العجز اضاعة الفرصة فيه اذا ادبرت
دولته وركدت زمن اقباله وقالت الحكماء العقلاء لا يكون في ملك
اجتمعت فيه خصلتان الانهماك في اللذات واضاعة الفرص
وكان يقال تميز الملوك عن السوقة انما يكون بفضيلة الذات
لا بفضيلة الالات وفضيلة ذات الملك بخمس خصال رحمة
تشمل رعيته ويقظة تحوطهم وصولة تذب عنهم ولبابة
تكيد بها الاعدا وحرامة ينتهز بها الفرص فهذه فضيلة الذات
واما اتخاذ الادوات فاتخاذ المباني الوثيقة العليه والملابس
الانيقة والذخاير النفيسه والمطاعم الشهيه والمراكب البهيه
فهذه فضيلة الالات على ما هو دونها من اجناسها فيكون
للقصر فضيلة على غيره من القصور وللثوب فضيلة على غيره
من الثياب وللذخيرة فضيلة على غيرها من الذخاير وللطعام
فضل على غيره من الاطعمه وللدابة فضل على غيرها من الدواب
فالفضيلة لهذه الاشيا لا لمالكها **قيل** فلما سار قيصر بجنوده ومعه
سابور على الهيئة التي ذكرناها قال وزير سابور للبطريك انما
استفدت بخدمتك والقرب منك والرغبة في صالح الاعمال وانه
لا عمل انفس من تنفيس كربة عن مجهود وجبر نفع الى مضطر
وقد علمت كفايتي في معانات الجرحا وان نفسي تنازعني
الى صحبة الملك قيصر في سفره هذا فلعل الله ان يستنقذني

نفسا صالحة يتوجع على مراحلها ويقدس قلبي حرك تخرقها ويحفظني
لها فكره البطريك ذلك وقال له قد علمت انى لا استطيع فراقك
فكيف تطالبني بالسفر البعيد عني ما ظننت انك تلقاني بما
اكره وتسومني على ما يشق علي احتماله كما لم اظن انك تؤثر
شيئا من الاشيا على القرب مني والتحبب الي فقد ابنت لي عن
حسن ظني بك ولم يزل فلم يزل الوزير يتضرع الى البطريك
ويستمليه حتى سمح له بذلك فاذن له في وروده وكتب معه كتابا
الى المطران يخبره انه قد بعث اليه بسويد اقلبه وسواد بصره
فليحله من نفسه اعلى المراتب ويستضي برايه فيما اشكل عليه فقدم وزير
سابور على المطران فعرف له حقه وانزله معه في قبته وجعل الوزير
يتقوى على المطران بالعجمية ويستمليه بما يميل اليه ويطرفه كل ليلة
باخبار غريبة رافعا بها صوته ليسمع سابور احاديثه فيتسلا
بذلك وجعل يدس في احاديثه ما يحب ان يعلمه سابور من الاخبار
ويفطنه بشي من الاسرار وكان يجد لذلك اعظم راحة قال
وكان الوزير قد اعد لتخليص سابور انواعا من المكايد زينها
واسسها عندما قدم على المطران وكان يقال من ظن من الملوك
ان لفطنته فضيلة على فطنة وزيره فقد غلط وان اضاف
الى هذا انه مخالفه الوزير لم يفلح فانما كانت فطن الوزرا تنفذ من فطن
الملوك لان الملوك يتفقهون ابدا في سياسة من دونهم من الرعية
والوزرا يتفقهون في سياسة الملوك وسياسة الرعايا وهم اشبه
شي بالجوارح التي تصيد وتفترس ويصيدها ايضا جوارح اشد

منها

منها في اغلب الجوارح مكايدها احتراس ومكايدها للانسان وكان
يقال احسن الوزرا حالا من اعد لكل امر يرجو وقوعه ويمكن كونه
عدة فاذا وقع الامر قابله بما كان اعد له واسوا الوزرا حالا من توكل
على لطف فطنته وقوة حيلته ودربة ممارسته فترك الاعداد
للامور قبل نزولها ثقة بنفسه وانما هو في ذلك بمنزلة من ترك
تزوير القول واعداده توكلا على فصاحة لسانه وقوة بديهته
وحسن ارتجاله فيوشك ان يستولي عليه العي والحصر في بعض مقاماته
وبمنزلة من ترك السلاح توكلا على قوة يديه وشجاعة قلبه فيوشك
ان يظفر به عدوه في بعض المواطن قيل وكان من المكايد التي اعدها
وزير سابور انه امتنع من مواكلة المطران وزعم انه لا يريد ان يخلط
بالطعام الذي زوده البطريك طعاما غيره لما يرجوا من بركة الاقتدا
به وكان اذا احضر طعام المطران اخرج هو من ذلك الزاد فانفرد
بالاكل منه ولم يزل قيصر سائرا بجنوده حتى بلغ ارض فارس فاكثر
فيها السبي والقتل وتغوير المياه وقطع الاشجار واخراب القرى
والحصون وهو مع ذلك يواصل السير مبادرة ليستولي على دار
ملك سابور وبادرت من بها من الوزرا والرؤسا رؤسا الفرس قبل
ان يملكوا عليهم رجلا ولم يكن للفرس همة الا الفرار بين يديه والاعتصام
منه بالمعاقل فلم يزل قيصر على ذلك حتى بلغ مدينة سابور اوقرار
ملكه وهي المسماة جند سابور فاحاط بها جنوده ونصب عليها
المجانيق ولم يكن عند من بها من عظماء الفرس حيلة في دفعه باكثر من ضبط
الاسوار والقتال عليها وكل هذا قد علمه سابور على التفصيل مما

بفهمه اياه وزبره ويدسه في احاديثه من الاشارات والرموز والكنايات
وكان سابور لم يسمع منه بكلمة منذ سجنه قيصر في تلك الصورة
فلما عرف سابور ان قيصر ثقلت وطاته على اهل جندي سابور وقد
ثلم الاسوار بالمجانيق واشرف على افتتاح المدينة عيل صبره وساء
ظنه بنفسه وجزع ويئس من الحيوة مما هو فيه فلما جاءه الموكل
بطعامه قال له سابور ان هذه الجامعة قد نالت مني منالا لا اضعف
عن احتماله فان كنتم تريدون بقا نفسي فنفسوا عني منها واجعلوا
بينها وبين عنقي ويدي خرقا من الحرير نجا الموكل بطعامه الى المطران
فاخبره بما قاله سابور واسمعها الوزير ليعلم ان سابور قد جزع وساء
ظنه به فلما جن الليل وجلس لمسامرة المطران قال له لقد ذكرت
ذكرت الليلة حديثا عجيبا ما ذكرته منذ كذا وكذا سنة ووددت
اني كنت حدثته البطريك قبل سفري هذا قال المطران اني ارغب
اليك ان تحدثني به الليلة ايها الحكيم الراهب فقال الوزير نعم
وكرامة ثم اندفع يحدثه رافعا صوته ليسمع سابور فقال انه كان
عندنا بخليفة فتى وفتاة في نهاية الحسن والظرف اسم الفتى عين
اهله واسم الفتاة سبدة الذهب وكانا زوجين موتلفين متحابين
لا يبتغي احدهما بالاخر بدلا وان عين اهله جلس يوما مع اصحابه
يتحدثون فتذاكروا النسا الى ان وصف احدهم امراة بالجمال البارع
والظرف الرايع اسمها سبدة الذهب فوقع في قلب عين اهله
ميل اليها فسال الواصف لها عن منزلها فذكر له انها بقرية غير قرية
عين اهله فتفكر عين اهله في امرها وخامر حبها وطمحت نفسه

اليها

اليها طموحا شديدا وكان يقال العقل كالبعل والنفس كالزوجة له
والجسم كالبيت لهما واذا كان سلطان العقل على النفس مبسوطا
اشتغلت النفس بمصالح الجسم كاشتغال المراة التي قهرها بعلها بمصالح
نفسها وبيتها وولدها وبعلها تسلي الجملة واذا كان السلطان للنفس
على العقل كان سعي النفس كدا وترعاها مرموقة كفعل المراة
التي قهرت بعلها قال فانطلق عين اهله الى القرية التي فيها سبدة الذهب
وطلب منزلها حتى عرفه ولم يزل يتردد اليه حتى راها فراى
منظرا حسنا ولم يكن احسن من امراته ولكنه كان يقال من ضرورة
النفس ان تحن الى التنقل في الاحوال اذ كانت تنقلت بالتركيب الى
عالم الكون ثم تنتقل بالتفرق الى عالم الفساد وما اقبح امرة بالنقلة
وختم امرها بالنقلة فالتق الاحوال به توسط النقلة فان رغبت
عين اهله نفسه في الاستكثار من روية سبدة الذهب فلزم
المعاودة الى منزلها والتمتع بتاملها حتى فطن له بعلها وكان فظا
غليظ الطبع قاسي القلب شديد البطش يسمى الذيب فرصد عين
اهله حتى مر به فلما راه الذيب وثب عليه فقتل فرسه وخرق
ثيابه وتعنفه وعنف عليه واستعان باصحابه فحملوا عين
اهله وادخلوه الى دار الذيب وربطوه الى سارية في بيت من بيوتها
ووكل عليه الذيب عجوزا قطعا اليد جدعا الانف عورا العين
تشوهها الحالة فلما جن عليه الليل واوقدت تلك العجوز النار بالقرب
من عين اهله وجلست تصطلي فتذكر عين اهله ما كان فيه من
السلامة والرفاهية والعز فزفر زفرة عالية فاقبلت عليه

العجوز وقالت له ايها الشاب ما ذنبك الذي اورثك مورد الذلة فقال
عن اهله ما علمت ان لي ذنبا فقالت العجوز هكذا قال الفرس للخنزير
فلم يصدقه الخنزير حتى امتحنه غرامة فظهر على ما خفي عنه وعلم
صدق ظن الخنزير فيما رغب اهله اني احب ان تحدثني بذلك فان كنت
تحسنين الي فقالت العجوز زعموا ان فرسا كان لرجل من الشجعان
وكان يكرمه ويحسن القيام عليه ويبذل لهمامته ولا يصبر
عنه ساعة وكان يخرجه في بعض الغدوات الى مرج فينزل عنه ويرخي سرجه
ولجامه ويطيل رسنه فيتمرغ ويرعى حتى ترتفع الشمس فيرده وانه
خرج به يوما الى المرج ونزل عنه فلما استقرت قدمه على الارض
نفر الفرس وجمح ومر يعدو بسرجه ولجامه فطلبه الفارس يومه
كله فاعجزه وغاب عن عينه عند غروب الشمس فرجع الفارس
الى اهله وقد ايس من الفرس ولما طلع انقطع الطلب عن الفرس
واظلم عليه الليل جاع فاراد ان يرعى فمنعه اللجام ورام ان يتمرغ
فمنعه السرج ورام ان يستقر على احد جنبيه فمنعه من ذلك الركاب
فبات باشر ليلة ولما اصبح ذهب يمشي فرحا بما هو فيه
فاعترضه نهر فدخله ليقطعه الى الضفة الاخرى فاذا هو بعيد
القعر فسبح فيه الى الضفة الاخرى وكان حزامه ولببه من جلد
لم يبالغ في دبغه فلما خرج من النهر اصابت الشمس الحزام واللبب
فيبسا واشتدا عليه فورم لبانه ومحزمه واشتد الضر عليه
الى ما به من الجوع فلبث بذلك اياما الى ان ضعف عن المشي فنام
فمر به خنزير فهم بقتله ثم عطف عليه لما راى به من الضعف

فساله

فساله عن حاله فاخبره بما هو فيه من اضرار اللجام واللبب والحزام وساله
ان يصطنع عنده معروفا فيخلصه مما ابتلي به فساله الخنزير عن
الذنب الذي استحق به تلك العقوبة فزعم الفرس انه لا ذنب له فقال
الخنزير كلا بل انت كاذب في زعمك او جاهل لذنبك لجرمك فان
كنت يا فرس كاذبا فما ينبغي ان انفس عنك خناقا ولا اصطنع
عندك معروفا ولا ان اتخذك وليا ولا ان التمس عندك شكرا
او اطلب فيك اجرا فانه كان يقال اذا رايت نفس الكذاب قد تثبتت
بها عالم الفساد فكلها اليه فانه اللائق بها الفساد تركيبها والدليل على
فساد تركيب نفس الكذاب انها مضطربة معرضة عن الحقيقة في
الحوادث ونزاعه الى العدم المحض فتصور العدم وجودا والباطل حقا
وتصور ذلك في نفسه المغترة بها الراكن الى قولها وكان يقال احذر
مفارزة ذوي الطباع المرذولة لئلا تسرق طباعك من طباعهم
وانت لا تشعر وقيل لا تطمع في استصلاح الرذل والحصول
على مصافاته فان طباعه اصدق له منك فلن تترك لك ثم قال
الخنزير وان كنت يا فرس جاهلا لجرمك الذي استوجبت به هذه
العقوبة فجهلك بذنبك اعظم منه ثم جهل ذنوبه اصر عليها
فلم يرج صلاحه وقد قيل احذر الجاهل فانه يجني على نفسه
وليست احب اليه منها وكان يقال ما شيء اشبه من الجهل بالكذب
وذلك لان الكذاب يتناسى الصور والقضية المحسوستين ويتخيل
الكذب الذي هو ضدهما حتى ينطبع ذلك في عقله ويترك
الصواب عمدا الى غيره والجاهل يرى الاشيا على خلاف ما هي

عليه فيرى القبيح حسنًا والحسن قبيحًا وانما الفرق بين الجاهل والكذاب
ان الكذاب الكاذب يأتي ما يعلم خطاه فيه والجاهل لا يعلم
ذلك فهو على نفسه وعلى غيره اشد جناية من الكذاب فقال الفرس
للخنزير ينبغي لك ان لا تزهد في اصطناع المعروف فقال اني لست
بزاهد في ذلك ولكنه كان يقال العاقل يتخير لمعروفه كما يتخير
البادر لحبوبه الذي يبذر ما زكا من الارض فحدثني يا فرس عن ابتدا
امرك لاعلم من اين ذهبت فحدثه الفرس بجميع امره وكيف كان
عند فارسه وكيف فارقه وما لقي في طريقه الى حين اجتماعه بالخنزير
فقال له الخنزير قد ظهر لي الان انك جاهل بجرمك وان لك ذنوبًا
ستة اولها خذلانك فارسك الذي احسن اليك واعدك للمهمات
والثاني كفرك لاحسانه والثالث اضرارك به في طلباته
والرابع تعذيبك على ما لبس لك وهو السرج واللجام والخامس
اساتك الى نفسك بتعاطيك الموحش الذي لست له اهلًا ولا
لك عليه مقدرة والسادس اصرارك على ذنبك وتماديك في غوايتك
فقد كنت متمكنًا من العود الى فارسك والاستقالة من فرط جهلك
قبل ان يوهنك اللجام بالجوع واللبب والحزم بالضبط فقال الفرس
للخنزير اما اذا عرفتني ذنوبي وايقظتني لما كنت فيه لاعنه
محجوبًا بحجاب الجهل فانطلق الان ودعني فاني مستحق لاضعاف
ما انا فيه فقال له الخنزير اما اذا اعترفت وفطنت لهذا
القدر ولمت نفسك ووبختها فانك حقيق بان ينفس عنك وان قيل
كنت على باب زاده انه لن ينتفع بحكمنا الامر عن نفسه ووقف

نها

نها عند فقدها فمن كان بهذه الصفة فليدخل والا فليرجع حتى يكون
بهذه الصفة قال ثم انه قطع عنه عذاب اللجام وقطع الحزام فنفس
عن الفرس قال فلما سمع عين اهله ما خاطبته به العجوز وفهم ما ضربته
له من الامثال اقبل عليها وقال لها لقد صدقت فيما نطقت ولقد ضربت
لي مثلًا كشفت لي عن حقيقة امري وافدتني حكمًا لا كفا لها
ثم حدثها حديثه ورغب في ان تمن عليه بالاصطناع وتطلقه
كما فعل الخنزير بالفرس فقالت له العجوز انك غير مصيب لك
باكثر الامور وان الذي سالتني لا يمكنني فعله الان ولعلي ان
اجد لك فرجًا ومخرجًا مما انت فيه فعليك بالصبر وامسكت العجوز
عن مخاطبته قال فلما انتهى الوزير في حديثه الى هذه الغاية اقبل
على المطران وقال اني أحسّ في راسي صداعًا وفي اعضائي فتورًا
ولا يمكنني تمام الحديث ولعلي ان اكون في الليلة القابلة نشطًا
الى ذلك فذيرًا عليه فاكمل مسرتك باكماله ونهض الى مضجعه
فجعل سابور يتصفح حديث وزيره ويتامل الامثال التي ضربها
ففهم ان الوزير كنى عنه بعين اهله لانه ملك فارس وكنى عن
مملكته واقليم بابل بسيدة المنار لان رعيته يعبدون النار
وكنى عن بلاد الروم بسيدة الذهب وكنى عن قيصر بالذيب وكنى
عن طموح سابور الى رؤية مملكة الروم بطموح عين اهله الى
رؤية سيدة الذهب وقصد بما ضرب له من الامثال الحكمية تاديبه
على شره وتحذيره بنفسه ومخالفته نصحاؤه وكنى عن نفسه
رحاله وعجزه وذله في خدمة المطران وطلبه مرضاته وتملقه

بالعجوز المقطعا الجذعا العورا المشوهه الخلق وعرفه انه لا يمكنه
تخلصه في ذلك الوقت وانه ساع في خلاصه فسكنت نفس ابورا
لما فهم ذلك وعادت ثقته بوزيره واستروح ريح الفرج ولبث
بذلك الى الليله القابله فلما تغشى الطران واخذ مقعد المنام
قال للوزير ايها الراهب الحكيم اخبرني ما كان من امر عين اهله وهل
خلصته العجوز من وثاق الذيب ام لا فان نفسي الى ذكر متطلعة
وارادك الليله صالح الحال فقال الوزير سمعًا لقولك وطاعة
لامرك ثم اقبل عليه يحدثه قال ثم ان عين اهله اقام على حالته
موثوقًا طول ليلته تلك فلما اصبح دخل الذيب فتوعده بالقتل
وزاده الى وثاقه قيدًا ثقيلًا وخرج عنه فقطع عين اهله نهاره
ذلك بالاماني فلما جن الليل قلق واستوحش فبكى وانتحب وجاءت
العجوز فاضرمت النار فرباسنه وجلست تصطلي ثم اقبلت
على عين اهله فقالت له اصبر واذكر مصايب الناس فتاس
بهم ولا تذهل عن النعمة العظما في حفظ نفسك فقال لها عين اهله
لقد صدق القايل هان على الطليق ما لاقا الاسير فقالت يا بني ان
حداثة سنك قصرت بك عن ادراك كثير من الحقايق
فاسمع حديثًا لك فيه سلوة قال نعم فانعمي علي به فقالت
العجوز زعموا ان تاجرًا كان له ابن ليس له ولد غيره وكان
شديد المحبة له والشغف به فاتحفه بعض معارفه بغزال
صغير فعلق قلب الغلام به وكان لا يفارقه وجعل عين
اهله الغلام على ذلك الغزال حلسًا وارتبطوا له شاة

ترضعه حتى اذا اشتد الغزال وشدن نجم قرناه فقال الغلام لاهله
ما هذا في راس الغزال قالوا قرناه فاعجبه سوادهما وبريقهما فقيل
للغلام انهما سيكبران ويطولان حتى يكون صفتهما كيت وكيت
فقال الغلام لابيه احب ان اري ظبيًا لد قرنان كبيران فامر
ابوه فصيد له ظبي ثني السن قد استكمل قوته فاعجب به
الغلام وكره اهله وحلوه واسوه فانس والف الغزال ان
لي في الارض شكلا ثم لما رايتك وقع في نفسي ان لي اشكالا
سواك فقال الظبي نعم ان اشكالك كثيرة فقال له الغزال
اين هي فاخبره الظبي بتوحشها وانفرادها في فلوات الارض
فرارًا من الناس وحدثه عن مراتعها ومواردها وازدواجها
وتناسلها فارتاح الغزال لما سمع من الظبي وتمنا ان يراها
فيكون معها فقال له الظبي هذه امنية لا خير لك فيها
وانت قد نشات في رفاهية من العيش وامنة لا تعرف برها
ولو حصلت فيما تمنيت لندمت وانه كان يقال ثلاثة من لم
ينزلها منزلتها ويترع لها حقها اسرعت مفارقتها والتحول من قربه
وهي الملك والعلم والنعم وكان يقال الاماني في الشدة ارتياح وفي
الرخا جماح ولا ينبغي للعاقل ان ياذن لنفسه الا في المقدار
الذي يونس الوحشة وينفس الكربة فان استيلا الاماني
كتاملها السفلا الذين يعدون الروس اعجاز والاعجاز روسًا
ويسعون في قلب الاعيان وتغيير صورة الصواب فقال
الغزال للظبي لا بد لي من اللحاق باشكالي فلما راى الظبي ان

الظبي الى مجانسة الطبيعة فقال الغزال للظبي ما ظننت تنزل الى كل ...

الغزال غير متنبه وخاف عليه ان ينقطع به قبل بلوغه ما تمنى لانه
غرٌّ لا يعرف التحرز من مكايد الانس لم يجد بدًّا من اتباعه والكون
معه ليقضي حق حرمة الفته اياه فرصد حينًا تمكنه فيه الفرار
وخرجا معًا حتى لحقا بالصحرا فلما عاينها الغزال فرح ومرح وذهب
بعيدًا لا يلتفت الى شي فسقط في اخدود ضيق قد قطعه السيل فنشب
فيه وانتظر ان ياتيه الظبي ليخلصه فلم ياته فبقي هنالك واما ولد
التاجر فانه لما اصبح عدم الغزال والظبي فحزن لفقدهما واشتد ابوه عليه
فاستدعى كل من يعاني الصيد بذلك البلد وعرفهم القصة وكلفهم
طلب الظبي والغزال ووعد من يعاني الصيد لمن وجدهما وعدًا
مرغوبًا فيه فانبثوا في سهل الارض وحزنها يطلبون وركب التاجر
دابته وفرق اتباعه على ابواب المدينه ينتظرون من ياتي من
الصيادين وانطلق هو وعدة من عبيده حتى اتوا الصحرا فراى
على بعد رجلًا مكبًّا على شي بين يديه فاسرع نحوه فاذا هو صياد قد
اوثق ظبيًا وهو يريد ذبحه فتامله التاجر فاذا هو ذلك الظبي الذي
يطلبه فخلصه منه فامر عبيده ففتشا فوجدا معه الحلي الذي
كان على الظبي فساله التاجر كيف ظفر بالظبي واين وجده فقال
اني اتيت في الصحرا القصيه فنصبت شركًا وكمنت قريبًا منه فلما
اصبحت جا هذا الظبي فقصد الشرك فاخذته وقصدت به المدينه
فلما بلغت هذا الموضع ظهر لي اني مخطي في ادخال الظبي المدينه
حيًّا لعلمي انه اذا راى طولبت بما كان عليه من الزينه فرايت ان
اذبحه وادخله لحمًا هذا خبري فقال له التاجر لقد جنى عليك

شحك

شحك الخيبة والحرمان فماذا عليك لو اطلقته فذهب وحصلت انت
على زينته وحليته وكان يقال لا يدخل الشره مدخلًا الا اعقبته
الحرمان ولا يدخل البخل مدخلًا الا اعقبته الحسرة الا ترى ان من
جملة البخل الشره على اكل اللقمة التي عاقبتها فيها تفسد كان
متعرضًا للحرمان لتهوع ما اكله والحسرة عليه عند مفارقته ثم ان
التاجر بعث بالظبي الى ولده مع احد عبيده وقال لذلك الصياد ارجع معي فارني
الجهة التي رايت الغزال يعدو نحوها فرجع به الى تلك الجهة وطفق الصياد
يفتش ويشرف على المواضع المرتفعة ومشى التاجر على رسله فسمع نزيب
الغزال فصاح به التاجر فلما سمع الغزال صوته عرفه فصوت واتبع
التاجر الصوت حتى قام عليه فاذا هو في اخدود منشبًا فيه فاخذه ونا دى
الصياد فوهب له دراهم وصرفه ورجع التاجر بالغزال الى ولده فكملت
مسرة الولد وجعل الغزال يتجنب الظبي اذا راه ولا يالفه كما كان
واذا حصل معه في موضع نفر عنه اشد النفار فتنغصت مسرة الغلام
لذلك وجهد اهله بكل حيلة بين الغزال والظبي على حال الفة وسكون
فلم يقدروا على ذلك فبينما الغزال يومًا نائم في بيت حتى دخل عليه
الظبي فعاتبه على نفاره منه وطول هجره له فقال الغزال انسيت
غدرك بي احوج ما كنت الى عونك واوثق ما كنت بنصرك فقال
له الظبي اني لم اغدر ولم اخن ولكن عدم رسوخك في علم التجربة
اوقعك في نقمة البرية واني لم اتاخر عن تخليصك بما حصلت فيه
الا مضطرًا الى التاخر عنك عاجزًا عن المبادرة اليك وقص عليه قصته
وانه حصل في شرك الصياد فعلم الغزال عذره وعادا الى الفهما

قال فلما سمع عين اهله حديث العجوز فهم ما ارادت به من ذكر عجزها عن
تخلصه امسك عن خطابها وصبر **فصل** فلما انتهى وزير سابور
من حديثه الى هذا الحد وسكت قال له المطران ايها الحكيم الراهب ما هذا
السكوت لعلك تريد ان تؤخر اخباري بما كان من عاقبة عين اهله وما
لقي من الذيب وما صنعت العجوز معه فقال الوزير اني العازم على ذلك
لفتور احس في اعضاي فقال له المطران لا تفعل ايها الحكيم الراهب
فان ذلك يشق علي ويشق علي فاجمل لنفسك ايها الحكيم فاني راغب
في انبساطك معجب باحاديثك فقال الوزير افعل ذلك طلبا لمرضاتك
ولو علمت ايها المطران ما ادخرت لك من عجايب الاخبار وغرايب
الاسمار لتعجبت من ذلك اشد العجب ثم اندفع بحديثه فقال **وان عين**
اهله لما سمع حديث العجوز وفهم ما ارادته امسك عنها وبات
ليلته تلك باسوا حال ولما اصبح دخل عليه الذيب وتهدده واراد
قيدا الى قبضه وعرفه انه لا ناصر له عليه ولا مخلص له من يديه وخرج
وخرج عنه فجعل يعلل نفسه بالاماني ويمنيها بالفرج فلما اقبل
عليه الليل استوحش واحتوشته الافكار وانتظر ان تجلس
اليه العجوز وتحادثه فلم تفعل وجعلت العجوز تكثر الدخول
الى البيت الذي فيه عين اهله ولا تستقر فيه فساطر بين
اهله وايقن بالهلكة وما شك في ان الذيب يقتله تلك
الليلة فاقبل على البكا والنحيب حتى ذهب قطع من الليل ثم قال
للعجوز مالك لم تونسيني في هذه الليلة بحديثك ولا جلست
الي فجلست اليه وقالت له ما كان لك في بنيتي قطعا جذعا

عورا

بينه
عورا مشوهة الخلق ما احملك على التاسي والتسلي وحمد الله وشكره
على سلامة نفسك ومعافاتك مما ابتليت به مما هو اعظم من بلائك حتى
نلت هذا على الطلبة لاني الهالك ولو اعتبرت باحوالي
عما ظهر لك مني لعلمت ان اسري اشد من اسرك فاسمع لي احدثك
حديثي **اعلم ايها الفتى** اني كنت زوجة لبعض الفرسان وكان
الي محسنا وبي رفيقا ولي محبا وكنت معه في رغد عيشة وارفهها
فلبثت بذلك مدة طويلة وولدت له اولادا ذكورا واناثا
فكبروا وانا في رفاهية من العيش ونعمة فغضب الملك على زوجي
لامر كان منه فقتله وقتل ذكور اولادي وباعني وبناتي مفترقات
فاشتراني هذا الفارس الذي عدا عليك واحتملني الى هذه القرية واساء
الي وكلفني من العمل ما لا اطيق واكثر معاقبتي من غير ذنب
لما طبع عليه من الفساوة والفضاضة فسالته مرارا ان يرفق
بي واستعنت عليه باخوانه ومن يكرم عليه لكي يخفف عني
او يبيعني فلم يزده السوال والشفاعات الا قسوة علي واضرارا
بي فلبثت بذلك سبع سنين ثم فررت منه فتبعني وادركني
فجدع انفي وعاودت قسوته علي واضراره بي فمكثت بذلك
سبع سنين اخرى ثم فررت منه فظفر بي فقطع يدي وقال انما
نفي بك من اعضايك التي تنتفع بها الا عينيك ويدك فان فررت
بعد هذا قطعت رجليك معا وفقات عينيك لا ينتفع بك واقسم على
ذلك بغليظ الايمان وعاودت مضرتي منه وانا قد عزمت
على ان اخلصك الليلة واقتل نفسي بيدي طلبا للراحة مما

انا فيه ولهذا رايتني اكثر الدخول عليك والخروج عنك وانما
ذلك لحيرتي وجزعي من الموت وقد طابت نفسي على الموت
ثم انها قبلت قيود عين اهله فقال لها لان تركتك تقتليني
لقد شاركت في دمك وانتزع السكين من يدها وقال لها قومي فاذهبي
معي لكي ننجو معًا فقالت له ان كبر سني وضعف بدني يمنعاني
من مساعدتك والهرب معك فقال لها ان الليل متسع والموضع الذي
نامن اذا وصلنا اليه قريب وبي قوة على حملك فقالت العجوز
اما اذا قد عزمت على هذا فاني لا احوجك على حملي فقاما وخرجا معًا
فلم ينقضي الليل حتى بلغا حيث امنا فجزاها عين اهله خيرًا
بما صنعت واتخذها امًّا يسمع لها ويطيع امرها هذا ما
بلغني من ذلك فقال المطران ما اعجب احاديثك ايها الحكيم الراهب
ولقد وددت ان لا افارقك ووددت ان سفري هذا يطول
متعني بك ولقد استعذبت مفارقة الاهل والوطن لقربك ونهض
كل واحد منهما الى مضجعه وبات سابور ينصف حديث وزيره
ويتامل امثاله ففهم ان الغزال مثل لسابور وان الظبي مثل
للوزير وان خروج الظبي مع الغزال الصحراء وحصول الغزال في الاخدود
مثل لصحبة سابور ووزيره حصل في سجن قيصر وان نفار الغزال
عن الظبي مثل لسوء ظن سابور بوزيره لتاخره عن استنقاذه
وعرف ان الوزير قد عزم على تخليصه والخروج به الى المدينة ليلاً
وان المدينة قريب منهما وانه يحمله ان عجز عن المشي فايقن سابور
بقرب الفرج ولما كانت الليلة القابلة تلطف وزير سابور

حتى

حتى دخل خيمة المطبخ التي يعمل فيها طعام المطران هو والموكلين
بحفظ سابور على حال الخلق فالقى في جميع الاطعمة منوما قوي
الفعل ولما حضر طعام المطران انفرد الوزير للاكل على ما جرت
به عادته فلم يكن الا ساعة حتى استحوذ المرقد على جميعهم
فانجدلوا في الحال في مواضعهم صرعى على مراصدهم ومضاجعهم
وبادر الوزير ففتح باب الصورة عن سابور واستخرجه وازال
الجامعة من عنقه ويده وتلطف حتى اخرجه عن عسكر قيصر
وقصد به جندي سابور وهي مدينة مملكة فانتهيا معًا
الى سورها فصرخ بهم الموكلون بحراسة السور فتقدم الوزير
اليهم وامرهم بخفض اصواتهم وعرفهم نفسه واعلمهم بفكاك
سابور فابتدروا وادخلوهما المدينة فقويت نفوس اهلها
وامرهم سابور بالاجتماع وفرق فيهم السلاح وعهد اليهم ان
ياخذوا اهبتهم فاذا ضربت الروم نواقيسهم الضرب
الاول خرجوا من المدينة واقتربوا من عسكر الروم ووقفوا حتى
تضرب النواقيس الضرب الثاني فاذا كان ذلك حملوا باجمعهم
كل فرقة على من يليها فامتثلوا امره وانتخب سابور كتيبة
عظيمة فيها اشجع اساورته وقام معهم فيما يلي الجهة التي
فيها قيصر فلما ضربت النواقيس الضرب الثاني حملوا من كل جهة
وقصد سابور اخبية قيصر ولم يكن الروم متاهبين لعلمهم
بضعف الفرس عن مقاومتهم فما تنبهوا حتى دهمتهم الفرس واخذ
سابور قيصر اسيرًا وغنم جميع عسكره واحتوى على جميع خزائنه

ولم ينج الا الطريد من جنوده الا الشريد وعاد سابور الى قرار مملكته
فقسم الغنايم بين اهله وعسكره وافاض الصلات على جميع من
في مدينته تفقد احوالهم وفوض جميع امره الى وزيره الذي خلصه
ثم احضر قيصر فاكرمه ولاطفه وقال له لا تخف فاني صفحت
عليه كما ابقيت علي وغير مجازيك بتضييق محبسي ولكني
اخذك باصلاح جميع ما افسدت من مملكتي فتبني ما هدمته
وتغرس ما قطعته من زيتونه وتطلق من في مملكتك من اسارى
الفرس فضمن له قيصر ذلك كله ووفاله به ولما انتهى في
الاصلاح الى بناء ما انثلم من سور مدينة جندي سابور قال
له انما تبنيه من تراب بلادك فامر قيصر رعيته من الروم تحمل
التراب من بلادهم الى جندي سابور فرفع به ما انثلم من سورها
ولما تم لسابور ما اراد من ذلك كله احسن اليه واطلقه
الى دار مملكته بعد ان قال له خذ اهبتك واستعد عزيك
فاني غاز ارضك عما قريب والحمد لله على السعادة قد بلغت بهذه
السلوانة الغاية التي تحملها هذا الكتاب والحمد لله على كل حال

السلوانة الثالثة سلوانة الصبر قال الله تبارك وتعالى

مخاطبا لصفيه المكين لديه ونبيه العزيز عليه واصبر وما
صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون وذلك
لما تالب الطلوب عليه وقصدوا بالمكروه لمكروه اليه كما اخبر الله سبحانه
بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
وكان رؤسا قريش قد اجتمعوا في دار الندوه ليتشاوروا في امر

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم فاتاهم ابليس لعنه الله في صورة شيخ عربي
فارادوا اخراجه عنهم فقال لهم اني من اهل نجد وقد ساءني ما اجمعتم
له ولعلكم لا تعدمون من محضري خيرا فاجلسوه في مشاورتهم
فقال عتبة ارى ان تخرجوه من بين اظهركم فان ظفر كان ظفره
حظا لكم وان قتل كنتم قد كفيتم امره فقال ابليس لعنه
الله ولا تامنوا ان يجتمع حي من احيا العرب فيستفسدوا هم
ويسيرهم اليكم حتى يغزو حاضرتكم وقال اخر منهم بل الراي
ان يوثق ويحبس حتى ياتيه اجله وهو في حبسه فقال ابليس
لعنه الله هذا الشيخ براي اما علمتم ان له اهلا بيت واتباعا
لا يرضون منكم هذا فيقع الحرب بينكم ثم تدور الدائرة
عليكم ويعز امركم فقال ابو جهل لعنه الله ارى ان تاخذ
من كل قبيلة من قبائل قريش شابا جلدا ونعطي كل رجل
منهم سيفا صارما فيضربونه في مضجعه ضربة رجل واحد
فلا يقدر بنو هاشم ان يطلبوا بدمه جميع القبائل اذا افترق
دمه فيها فقال ابليس لعنه الله فاوحى الله سبحانه الى رسوله صلى الله
عليه وسلم ليعرفه مكرهم وياموه بالهجرة الى طيبة وجا الذين تخيروهم
من القبائل للكفيل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله من اول
الليل فامر النبي صلى الله عليه وسلم عليا ان يلبس بردة الاخضر
وينام على فراشه واعلمه انه لا يصل اليه من قريش مكروه فالتحف
علي برد النبي صلى الله عليه وسلم ونام على فراشه وخرج النبي صلى الله
عليه وسلم من بيته والقوم على الباب فقرا اوائل سورة يس واخذ

كما مر بباب وجعل يذر على رؤس القوم وهم لا يرونه وانصرف
النبي صلى الله عليه وسلم متوجها نحو الغار وجعل المشركون
ينظرون الى مضطجعه عليه علي كرم الله وجهه في مضجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برده الحضرمي فيقولون
هذا محمد نائم ولا يطيقون الدخول حتى اصبحوا وقام علي
من [illegible] فنظروا اليه وانه علي فقالوا اين محمد فقال
لا ادري فعرفوا بالخروج فخرج [illegible] ساعة في الجهد ثم
تركوه **خبر في الصبر** مما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل
قائده والرفق والده والبر اخوه والصبر امير جنوده فناهيك
من خصلة تتأمر على هذه الخصال وليس المراد تفضيل
الصبر على العقل والعلم وما ذكر معهما من الخصال ولكن المراد
بالصبر ثبوت الثبات والحبس والامتناع
فمن اتصف بشيء من هذه الخصال ولم يتصف بالصبر عليه وفي اللازمة
كانت [illegible] لم يتصف به لان الصبر هذه الخصائص له
[illegible] ضابطا لها لا تنضبط الامور [illegible] الا امير جنوده عن
منزلة من [illegible] والاخلال بما نصبت له من دفاع واتباع
منثور ومنظوم في الحكم من الصبر روي ان عليا كرم
الله وجهه قال الصبر مطية لا تكبو وقيل مكتوب في الصحيفة
الصفراء المعلقة في [illegible] هيكل [illegible] بل [illegible] المعاطيس
قال [illegible] احسن الظفر [illegible] يظفر **اشار رحمه الله تعالى**

ان

عجبا [illegible] ولو [illegible] الا [illegible]
[illegible]
وكل [illegible] من اطلاله [illegible] فلعل [illegible] بني [illegible] الاديب [illegible]
من [illegible] جارية [illegible] رحمه [illegible] اذا [illegible]
ان طال الصبر طويل ومنزله [illegible] وان الصبر [illegible]
يفضي من غرج الى الفرج وان اقل [illegible] الصبر [illegible]
[illegible] المستغلي [illegible] به والصبر [illegible] صبر [illegible]
على [illegible] وصبر [illegible] وهو [illegible] وقال الحكم [illegible]
حسب [illegible]

قال

لباس [illegible] الصبر مدرع به | في [illegible] الادراع للالام
والصبر [illegible] الارواح يعلم [illegible] | صبر الملوك وليس الاحلام

وقال ايضا واذا [illegible] | يوما [illegible]
ويوما كان [illegible] | ولا [illegible] على [illegible]
صبر [illegible] حتى يبوح [illegible] | [illegible] الكريمة بالصبر

قوله يبوح اي يجيء وقلت في ذلك ايضا

على قد [illegible] | [illegible] الصبر [illegible] بصيبة
ومن [illegible] اصطبار | فقد [illegible] نصيبة

وقال بعضهم في ذلك

الصبر اولى بوقار الفتى | من قلق [illegible] الوقار
من لزم الصبر على حاله | كان على ايامه بالخيار **وقال**
ومقعد كربة [illegible] | مكان [illegible]
صبرت لها ولست [illegible] | اذا احام اللئام عن القتال
[illegible] | [illegible] الحال

وقال [illegible] صد هذا [illegible] من القول في الصبر على الجملة
وهو [illegible] انواع [illegible] الملوك

[illegible] فبعوث على الا [illegible] على الاسفار

٣٠

ملتقى أهل الحديث

وصبر الملوك هو عبارة عن ثلاث قوى القوة الاولى قوة العلم
وثمرتها العفو القوة الثانية قوة الكفاية والحفظ وثمرتها عمارة
المملكة القوة الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها الثبات واما ثمرتها
في حماة المملكة من المغالبة والاقدام في المعارك فلا بد من الملك الاقدام
في المكافحة فان ذلك من الملك تهور وتغرير واما شجاعة الملك
ثباته حتى يكون قطبا للمحاربين ومعقلا للمنهزمين وهذا
ما دام بحضرته من يثق بذبه عنه ودفاعه دونه وحمايته
له ولقد ذكرت الفرس ان فيلا اغتلم اي هاج فدخل قصر كسرى
انوشروان والفيل اذا اغتلم وهاج انكر سواسه ولم يثبت له
شي الا اتى عليه قالوا وان ذلك الفيل قصد مجلسا كان فيه كسرى
ومعه جماعة من كفاة اصحابه فلما راوا جماعته ان الفيل
قد قصدهم فروا من عنده وثبت كسرى على سريره وثبت معه
رجل من اساورته وكان متكيا عنده فقام ذلك الاسوار بين يدي
كسرى وبيده طبرزين وقصده الفيل فثبت له حتى غشيه
فضربه بالطبرزين على فنطسته فكر الفيل راجعا من حيث
جا وقد نالت منه الضربة منالا شديدا وكسرى في هذا
كله لم يتحلحل عن مجلسه ولا تغيرت هيئته ولا فارقته
هيبته فهذا غاية الشجاعة المطلوبة من الملك فاذا
لم يكن بحضرة الملك من يثق بدفعه عنه حسن حينئذ منه
ان يذب عن نفسه اما بالاقدام على العدو ان غلب في ظنه الامتناع
منهم او بانهزامه ان اتاه من لا قبل له به واشفق من عطب

رعيته

رعيته بهلكه حكي ان موسى الهادي كان يوما في بستان
ومعه اهل بيته وبطانته وهو راكب على حمار وليس معه
سلاح اذ دخل عليه حاجبه فاخبره ان رجلا من الخوارج جي به
اسيرا وكان الهادي حريصا على الظفر به فامر بادخاله فادخل
بين رجلين قد امسكا بيديه فلما نظر الخارجي الى الهادي
جذب يديه من الرجلين واخترط سيف احدهما ووثب
نحو الهادي فلما راى ذلك من كان نحو الهادي فروا جميعا وبقي الهادي
وحده فثبت على حماره بمكانه حتى قرب الخارجي وكاد يعلوه
بالسيف فقال الهادي اضرب عنقه يا غلام فالتفت الخارجي
حين سمع ذلك ووثب الهادي عن سرجه فاذا هو على ذلك
الخارجي وسقط الخارجي تحته فقبض الهادي على يده فانتزع
منه السيف فذبحه ثم عاد الى ظهر حماره وتراجع اليه خاصته
يتسللون وقد ملئوا رعبا وحياء فما خاطبهم في ذلك
بحرف واحد ولم يكن بعد ذلك يفارقه السيف ولا يركب
الا الخيل وقد جلا عليك هذا الخبر ما ابد الله به موسى الهادي
من ثبات الجاش وشجاعة القلب وقوة البدن رحمة الله عليه
امين وايانا وغفر لنا ولوالدينا امين الصبر على نوب الايام
من اخلاق الكرام شعرا

اني اقول لنفسي وهي ضيقة ⁂ وقد اناخ صرو والدهر بالعجب
صبرا على شدة الايام ان لها ⁂ وقتا وما الصبر الا عند ذي الحسب

روضة رايقة ورياضة فايقة فيل وحكاية لكسرى انوشروان

ارض من التخوم الهنديه فذكرت له بحسن المنظر وطيب الهوى
والما وكثرت العماير وحصانة المعاقل وذكر له اهل تلك الارض
لعظم الجسوم وبلادة الفهوم وشجاعة القلوب وقوة الابدان
فتشوفت نفس كسرى الى تلك الارض وكان يقال الشره اعرق
الخصال في اللوم والحرص ابو الذي يولده والبغي ابنه الذي يلده والطمع
شقيقه والذل رفيقه وكان يقال من شره وقع فيما كره
وكان يقال الشره مشوه بنتجها طبع ويهيجها طمع قال فلما
طمحت نفس كسرى الى تملك تلك الارض سال عن ملكها فاخبر
بانه عظيم من اركنة الهند وانه شاب منقاد لشهواته مقبل
على لذاته الا انه سالك صراطا من العدل لا يجور وما لك منهلا
من البذل لا يغور الى رافة برعيته قد اشربت قلوبهم وده
وصرفت قلوبهم الى ما عنده فندب له كسرى رجلا من دهاة
اصحابه قد اقتبس ادبا من اداب الملوك وتفقه من سياستهم
وكان ذا دهاء وحزم ومكر فامره بتامل مسالك تلك الارض
والبحث عن ثغورها ومعاقلها وتفقد اخلاق ملكها واهلها
وكتب معه كتابا الى ذلك الاركن يدعوه الى الدخول في طاعته
ويحذره التعرض لصولته بمخالفته فانطلق ذلك الجاسوس
حتى قدم على الاركن فاحسن نزله وبالغ في بره وتكرمته
وعما عليه الاخبار وبالغ في تبضه عن التصرف وفي قبض الناس
عن لقائه واحتجب عنه ولم يستدع الكتاب منه وندب
لاحتيابه وعلم ما قصد له رجلا من دهاة اصحابه فامره

بالتجسس

بالتجسس عن انبائه والتلطف في مداخلته ومخالطته تلته
فانطلق ذلك الجاسوس فاكترى حانوتا بحذاء دار
الرسول وملاه تجارا وجلس يبيع التجار وكان للرسول غلام
يخف في حوايجه ويتصرف في مآربه فجعل الجاسوس اذا راى
ذلك الغلام هش له وكرمه وساله عما له من حاجة الى ان
انس به الغلام وكان يجلس اليه ويستعين به على امره فلبث
بذلك مدة طويلة لا يساله عن شي من امر سيده فلما انس
الغلام به قال له يوما من تكون ومن لك في هذه الدار التي
تدخلها فقال له الغلام صحبتني منذ كذا وكذا ولا تعرفني
فقال الجاسوس وما علمي فقال انا غلام رسول كسرى وسيدي
في هذه الدار فقال الجاسوس ومن كسرى فقال ملك بابل ارسل
سيدي الى ملك ارضكم فقال الجاسوس قد عرفت حين
ذكرت لي بابل لاني كنت في صباي اجير الرجل من اهل
بابل ثم امسك عن الغلام اياما لا يساله عن شي وكان يقال العصو
التنقير تنفير والتنقيب يريب الاريب وقيل من
تسرع الى الامانة فلا لوم على من اتهمه بالاضاعة ومن
تسرع الى المشاركة في السر لا لوم على من اتهمه بالاذاعة
ومن نصح قبل ان يستنصح فلا لوم على من اتهمه بالخداع ثم
ومن عني بكشف ما يستر عنه فلا لوم على من اتهمه بخبث الطباع
ثم ان الجاسوس قال للغلام يوما اذا خرج مولاك فاتني
اياه فقال ان مولاي لا ينصرف عن موضعه فقال الجاسوس

امريض هو فقال الغلام لا ولكن ملككم حصر الخروج عليه ومنع
الناس الدخول اليه فبكى الجاسوس فقال الغلام ما الذي يبكيك
فقال الجاسوس ابكتني الرحمة لمولاك مما هو فيه لاني ابتليت
بمثله وذلك اني حبست مرة في دين كان علي ومنعت امراتي
الدخول علي فلولا ان الله من علي برجل كان محبوسا معي وكان
يسليني بحديثه وانسه لهلكت عما نهلك ان تحدث مولاك
وتسليه فقال الغلام اني لا اعرف هذا ولا ادري خبر الطرقه
به فقال الجاسوس له افلا ادلك على ذلك فقال الغلام بلى فاحسن
الي فقال الجاسوس اذا خرجت من عند مولاك تطوف بالمدينه
فتامل ما تراه فيها فاذا رايت جماعة يتحدثون فاجلس اليهم
واستمع ما يفيضون فيه فاذا رجعت الى سيدك وخلوت
معه فقل له رايت اليوم كذا وكذا وسمعت كيت وكيت فان
هذا تسلية له وانس من وحشته ويوشك اذا فعلت ذلك
ان تحظى به عنده ففعل الغلام ما امره الجاسوس فقال له
سيده من دلك على فعل هذا فقال الغلام انا فطنت له ففعلته
فقال له سيده ليس هذا في فراغ عقلك فاخبرني من دلك عليه
فقال الغلام دلني عليه جار لنا يبيع الفخار ما رايت اجهل
منه فقال له سيده وما دلك على جهله فقال الغلام انه صحبني
اكثر من شهر وهو لا يعرف من انا ولا يعرفه وذكرت له الملك
كسرى فاذا هو لا يعرفه فلما سمع الرسول ذلك استراب منه
وفطن انه متجسس عليه لما راى انه افرط في تجاهله

وكان

وكان يقال من افرط فهو كمن فرط ومن احتفل في غلوه اسفل في غلوه
وكان يقال ما دل على الاحوال كالاقوال ولا هتك قناع المعقول
كسماع المقول وكان يقال من لم يعرفك غائبا عيناه اذناه لم
يعرفك شاهدا عيناه قال فلما سمع الرسول كلام غلامه امر
ان يؤتى به ففعل فلما راه الرسول حقق بما كان فطنه من كونه
جاسوسا عليه فاكرمه وقربه واظهر له العداوة والجهل وساله
ان يتوصل زيارته فلبث الجاسوس يتفقد احوال الرسول في
ليله ونهاره مدة ولما ظن الجاسوس انه حصل على ما اراد علمه
من امر رسول كسرى ذهب الى الملك فاخبره ان ذلك الرسول
غبي لا ذكاء له ولا غناء عنده لاكثر من انه ذو نجدة وفروسية
ونفس ابية فوثق الملك بقوله وتخيل الرسول بالصورة التي
مثلها له الجاسوس عنه وكان يقال لا يكن سمعك لاول مخبر
ولا يقبل لاول مجلس وكان يقال اذا كان الخبر يدخله الصدق
والكذب فالقضاء له باحدهما جور وكان يقال ما يقضي
بصدق الخبر عصمة المخبر لا صدقه وكان يقال ان المخبر
الصادق اذا لم يكن معصوما فهو عرضة للتلبيس وفرصة
للتدليس وكون المخبر ثقة صدوقا انما يفيد سلامته من
التحريف فيما يقوله ولا يفيد عصمة ادراكه فيما ادركه فقد ينظر
الصادق المغفل الى الشمس فيخبر بانها غير سائرة وينظر الى القمر
ودونه مقطعات السحاب فيخبر بانه ادرك سرعة سيره
وينظر الى سفينة جارية الى البر فيزعم ان البر يجري وسمع

البغا المحجوبة عن بصره فتحير انه ابان عن الاشيا خلاف ما هي
عليه فلم يدخل الخلل من جهة تحريفه لكن من جهة ادراكه قيل
فلما وثق الاركن بمقالة جاسوسه احضر رسول كسرى فاكرمه
وخاطبه بقول حسن واخذ منه الكتاب وخلع عليه واجزل
صلته ورده الى منزله مسرورا واباح له التصرف واذن لمن اراد
قصده في زيارته وتابع اتحافه ولبث بذلك عاما ثم استحضره
وسلم اليه جواب كتابه واعطاه هدية الى كسرى فقال ان منها
سيف طوله خمسة اشبار ولونه كلون النحاس الاحمر يعمل في الحديد
كما يعمل غيره من السيوف في الرصاص وصحفة من الياقوت
الازرق تسع منا من الطعام وكاسا من الزمرد يسع رطلا
من الشراب والقدر فريك وقنديلا من المها فيه ياقوتة
حمرا كبيضة الحمام اذا علق في بيت فيه مصباح ليلا الفى
شعاع الياقوتة على الالوان القابلة للحمرة فلا يشك في
حمرتها احد واهدى له طيبا كثيرا ودروعا وغير ذلك
وخص الرسول بذخاير نفيسة وصرفه الى مرسله فلما قدم
الرسول على كسرى اخبره بطيب تلك الارض وفضايل خصايصها
وحصانة ثغورها وانه لم يجد لها عورة يؤتى منها الا
غرارة اهلها فان عقولهم متهيئة لقبول الخدع محجوبة عن
عن النظر في العواقب وان هذا موجب حسن طاعتهم لملكهم
فلو ندب اليهم رجال يحسنون نصب الدعوات الى الدول
لاستمالوهم وصرفوا طاعتهم لملكهم فاذا انصرفت طاعتهم

لم تقم لملكهم بعد ذلك قايمة لانهم اعضاده الذين يصول
بهم فهم في الرخا ثمار مجتناه وفي البلا سيوف منتضاه فنظر
كسرى فيما كتب اليه الاركن فوجده قد خاطبه بالملاطفة واعترف
بفضله ورغب اليه في الموادعة والمواخاة فاستشار انوشروان
وزراه في امره واعلمهم ان نفسه لا تطيب بالمدة فاختلفوا
عليه واجمعوا امرهم على ان يرد هديته اليه ففعل ثم انه ندب
لاستفساد رعيته رجالا يحسنون نصب الدعوات وقلب
الدول وايدهم بالاموال وبين لهم مثالا يحذون عليه فتفقوا
لما امرهم به حتى انتهوا الى مملكة ذلك الاركن فتفرقوا فيها
فلما اتى عليهم عامان احكموا ما ارادوا من ذلك في دار مملكة
الاركن وفي غيرها من مدنه وحصونه ورساتيقه وكسر
بذلك فلما تم لهم ما ارادوا كتبوا بذلك الى كسرى فامر اليهم
المرزبان المتولي ربع مملكته المقابلة لتلك الجهة الهندية
وذلك ان اقليم بابل كان مصروفا الى اربعة مرازبة لكل مرزبان
ربع منه مع كل مرزبان منهم خمسون الف مقاتل فلما
شرع ذلك المرزبان في حشد والاعداد كتبت عيون الاركن
التي بتلك الجهة اليه تخبره بان المرزبان المجاور للجهة
بلاد كذا اخذ في جمع الاجناد وتاهب للاستعداد فعلم
الاركن انه قاصده وعم الارجاف ببلاده وتحدث الناس بقصد
المرزبان اليه واكثروا الاراجيف فانتبه الاركن من غفلته
وبحث عن الامر فوقف على حقيقته وكان ام مملكته بدوا

على خمسة رجال اربعه وزراه والخامس صاحب بيوت النار ورييس
الزمازمه والذي ياخذوا عنه دينهم فجمعهم الاركن وعرفهم ما
بلغه من فساد قلوب رعيته وحشد المرزبان بقصد بلاده واظهر
لهم الحاجة الى كفايتهم فجلسوا يتناصرون في ابتغاء صواب
الراي فقال احد الوزرا الاربعه الراي ان يصلح الملك رعيته فيملا ايديها
رغبات واملا حتى يستقيم معوجها ويانس نافرها فان عدونا اذا
علم بذلك جبن الاقدام وان قدم لقيناه بكلمة مجتمعه وايد
متناصرة **فقال رييس الزمازمه** انما يصلح هذا امر الرعيه لو كان
فسادها انما اوجبه هفيم جورًا وعسف سيرة فيزال عنها سبب
فسادها فيصلح رعيت الملك بهذه الصفات وانما الذي اورد عليها
الفساد الا جهلها مواقع الصواب وبطرها لترادف النعم **وقد
قيل** اربعة لا اذا افسدهم البطر لم يزهم التكرمه الا فسادًا
الولد والزوجه والخادم والرعيه **وضربوا لذلك امثال** وهي
القوى الاربع المرذوله اذا هاجت بتعدي حدود المصلحة وهي
الغضب اذا تعدى حد الشجاعه وحد الانفه من الرذايل والشهوة
اذا تعدت حد الكفاية والكسل اذا تعدى راحة الجسم من اكتساب
الفضايل والحرص اذا تعدى حد الكفاية فان هذه القوى الاربع
اذا تعدت هذه الحدود لم تردها المداراة والرفق الا هيجانًا
وطغيانًا وانما تغانا بحسم موادها **فقال الملك بلاغ الحكم**
فقال الثاني من الوزرا الاربعه الراي عندي ان نضرب بمن صلح من
الرعيه من فسد منها حتى تستقيم وتستوثق لنا ثم نلقى عدونا بمن لا

نخاف

نخاف دغله ولا نحذر غشيه لانا مضطرون الى الحرب لكون عدونا
لا يرضيه الا اخذ ما في ايدينا **قال رييس الزمازمه هذا انفع لعدونا**
من جيشه وادعى الى طاعته من دعاته مع انه لو علم تحربنا فيما
بيننا وتناصبنا ذهبت هيبتنا عن نفسه وبلغ فينا امله
وقد قالت الحكما اربعة من استقبلها بالتعنيف والردع في اربعة
احوال هلكت بها الملك في حال غضبه والشبل في حال صدمته والفيل
في حال اغتلامه والعامه في حال هيجها ومرجها **وقالوا** ان اشبه
شي بردع العامه في حال هيجها وتميزها معاناة الجدري في حالة
انبعاثه الى سطح الجسد بالاطليه الرادعة **فقال الملك صدق
الحكيم فقال** الوزير الثالث الراي عندي ان نطلب ولا نعين
من فسدت [illegible] طاعته من الرعيه فنميزه ممن سواه ثم نرى رايتنا
فيه بما يقتضيه حاله من قلة او كثرة او ضعف او نباهة او
ضعف او قوة فنقابله بما يوجبه حاله من التدبير **قال رييس الزمازمه**
البحث الان عن هذا خطر عظيم وخطب جسيم لانه يوحش المريب
فيحركه الى اللحاق بعدونا واعتماده بالنصايح ودلالته على عوراتنا
واذا التحق بعدونا قاتل معه على بصيرة ليبيت بعدونا فيدل على جهله
بالعود الى وطنه واهله وماله وعدونا بان لا يقابلنا بمثل ذلك
وربما لم ينفصل عنا المريب بل يقا ومنا بموضعه ويكاشفنا وينكر
علينا بتكله من الرعيه فينصروه وان لم يكن على مثل رايه فيفعله
مشاكلته كما ان الكلبين لا يمنعهما تعادهما وتنهاوشهما
من التعاون على الذيب اذا ابصراه ولا يلتفتان الى تحقيق

الذيب في الخلق الكلبي ولكنهما يتنافرانه ويصطلحان في التعاون
عليه نظرًا الى خصيصتي توحشه وانفته وجرائته فكذلك
العامي لا ينظر الى الملك من حيث تحققه في الخلق الانساني بل ينظر
اليه من حيث خصيصتي تفرده والفته وعلو همته فينافره ويالف
العامي الذي يشاكله في الاخلاق بعلة المشاكله وقد قالت الحكما رضي الله
عنهم ثلثه ان كان ~~سنونهم~~ شفقتهم بالامتحان في ثلثه احوال
حسن حمم مودتك في حال استقلالك وصدق في حال اختلالك
وامرأتك في حال انتهاكك والرعيه كالزوجه وادبار الدولة كالانتهاك
وقال مثل ذلك قوى صعد النا فهين من الامراض بالاطعمة الغليظه
فقال الملك صدق الحكيم فقال الوزير الرابع وكان الوزير الرابع اوسعهم
علمًا واحسنهم رايًا اما انا فاحدث الملك حديثًا اخبرني به
مودتي وكان احزما افادنيه وقال لي اخزن هذا الحديث في جبة
قلبك ولا تفشه تتمنى ان تعيش الى اليوم الذي تحتاج فيه
اليه واني لاحسب انه هذا اليوم فقال له الملك قل نسمع
حديثك فقال رئيس الزمان منه ما اولاه بالاصابة فقال الوزرا
الثلاثه انه كذلك فقال الوزير المذكور انما نحن كاصابع الراحة
في اقتفا بعضنا الى بعض وقرب بعضنا بعض وتزين
بعضنا ببعض ثم انا نستمد من نور عقل الملك السعيد نتطلع
اليه واسماعنا منه كما تستمد الدراري من نور الشمس فكلنا
الى الملك محتاج وبه مفتقر فقال الملك قل ايها الوزير الصالح
بالقبول والكرامة لك ولمن نبيت عنه في ما صحبنا والغنا
عنا

عنا والادا الينا كالحواس الخمس للقلب فنحمد والله اجمعين
فقال ذلك الوزير يزعم مودتي ان رجلا موسرًا من التجار
وكان ياوي من داره الى بيت مبطن السقف وفيما بين ذلك
السقف وبطانته فيران كثيرة فكن يقمن سنين من الايام ويلتمسن
الاطعمة من النهار كله على حال طمانينته فاذا جا الليل نزلن
من السقف فتفرقن في مخازن التاجر ومساكن عياله فاكلن
واحتملن فكثر ذلك اذاهن على التاجر وانه دخل يومًا مسكنه
ذلك فاستلقى فيه منكرًا في بعض امره وجعلت الفيران
تمرح على باطن السقف والتراب يتساقط من خلل الالواح
فضجر التاجر ونهض من نومه فامر بتحويل ما في البيت من
الالات ثم امر عبيده فوضعوا بطانة السقف وانتشر الفيران
في الدار فقتلن اشر قتله ولم ينج منهم احد وفار كانا
غايبين من السقف فلما رجعا وابصرا فساد وطنهما ومصارع
الفيران في جميع الدار راعهما ذلك واقبل الجرد على الفارة وقال
لها لقد صدق القايل حيث يقول من صحب الدنيا واتقاها
كان كالنايم في الظل الذي يكون قبل بلوغ الشمس الى نصف
ظاهر دايرة فلكها الاعلى فيتقلص الظل عنه بنصوبة
الشمس فتوقظه حرها ولا يجد للظل عينًا ولا اثرًا فقالت
الفارة صدقت فماذا ترى قال الجرذ ارى ان لا اسكن موضعًا
تقع فيه هذه النوازل وافر من الانس جهدي فان همهم
شديد وحبائلهم امضى من قوم غيرهم من العوالم

فقالت الفارة وانا معك فانطلقا حتى اتيا ارضا فيها جرذ ذات
اخلاط من الوحوش يسكن واديا معشبا فيه غدران ماء ذات
ضفادع وسلاحف فاعجبهما ذلك وصارا الى يلتمسان موضعا
يحتفران فيه جحارا فانتهيا الى ربوة عالية في وسط ذلك الوادي
قد تجاب السيل يمينا وشمالا فاحتفرا في اصل تلك الربوة جحارا
رضياه واوطنا فيه وانهما علوا يوما على الربوة فرايا في اعلاها
يربوعا قد علت سنه وهو على باب جحار له فرحب بهما وحادثهما
وسالهما عن امرهما فاخبراه الى ان ذكرا انهما اوطنا جحارا في اصل
تلك الربوة فقال لهما اليربوع لولا ان النصح كثيرا ما يدعو الى
التهمة لنصحت لكما فقالا ما احوجنا الى نصحك فقال لهما انه
كان يقال اربع لا تقدم عليهن حتى تسال عنهن السوق لا تقدم
عليهن عليه حتى تسال عن النافق والكاسد فيه والامراة لا
تقدم على خطبتها حتى تسال عن منصبها وخلقها والطريق لا
تسلكها حتى تسال عن امنها وخوفها والبلد لا تتوطنها حتى
تسال عن سيرة سلطانها واخلاق اهلها وفوق من يكيد اهلها
ويعاديهم وكان يقال انظر الى من نصح لك فان اتاك بما يبصر
غيرك ولا ينفعك فاعلم انه شرير وان اتاك بما ينفعك ويضر
غيرك فاعلم انه طامع وان اتاك بما ينفعك ولا يضر غيرك
فاصنع اليه واعتمد عليه وكان يقال ان لم تعرف ناصحك على
نفسك كان ناصحك كمن يروم تقويم ظل عود قد نصب معوجا
قبل ان يقوم العود في منصبه وكان يقال اذا اردت ان تعلم

ما يغلب على الانسان من قوى الخير والشر فاستشره فانه
يدلك رايه عليه وكان يقال شر ما في عالم الاخلاق المتعاطي
يريد المتخلق شرا او يعرضه موسم الحرب وهذا كالضعيف
يتعاطى القوة وكالجاهل يتعاطى العلم وكالفقير يتعاطى
الغنا وكان يقال اذا احتجت الى المشاورة في امر فشاور ذوي
الحنكة والتجربة من طبقتك وذوي صناعتك ولا تعدل
عنهم الى غيرهم ممن ليس من طبقتك ~~وذوي صناعتك~~
فيخرجك عن حدك لكونه خارجا من عالم خصايصك واعلم
ان قد جمعني واياكما نسبة صناعية وهي حفر الجحار الا اني
ارسخ منكما فانتقلا عن جحاركما فانه بيس الجحار وبيس
الاوطان وانا ابن نجدة هذه الارض والخبير بها وقد قيل
تبل ارضا خابرها فتحولا عن ذلك الجحار واطلبا ما سواه
فخرجا من عند اليربوع يهزلان به ويسخران منه وينسبانه
الى الهرم والخرف ورجعا الى جحارهما فلبثا مدة طويلة
وولدا فيه اولادا كثيرة ثم ان الجرذ خرج يوما من
الايام فاوغل في تلك الارض لبعض شانه ثم عاد قاصدا
الى الربوة فاذا السيل قد ~~[illegible]~~ جرى في ذلك الوادي فاحدق
بالربوة وارتفع حتى صارت الربوة في مثل البحر العجاج فخرج
على صفة الوادي ينظر متحسرا النساء وولده وهلاك ما لقيه
وذهاب ما اعد من طعمه فراى اليربوع قايما على الربوة
الهيا فناداه اليربوع ايها الجرذ كيف وجدت ثمرة اضاعة

الحزم ومعصية الخبير الناصح فقال الجرذ وجدتها مرة فقال
اليربوع للجرذ هون عليك وخفض من حسرتك فان
النعمة في بقا نفسك فانس النعمة بالشكر تستمتع بها
فانه كان يقال اظهر البشر لثلاثة الصديق والعديم
والنعمة وكان يقال ان الحر لا يذهله اساءة من كان احسن
اليه عن شكر احسانه السالف عنده ودم على شكرك
اذا احسن اليك محسن ثم تنكر واصابك بمساءة فلا تنقبض
عنه ودم على شكرك له وبرك به فان ذلك اوجد شفيع
لك عنده فقال الجرذ لليربوع ما كان اشقاني ايها الحكيم بمعصيتك
والبعد عنك ولو كنت ذا بصيرة لعلمت انك لم تكلف نفسك
هذه الربوة الكوود وهولها على كبر سنك وضعف بدنك صعود
الا لامر اقتضته الحكمة واوجبه الراي المصيب ثم ان
الجرذ جلس مكانه حتى ذهب السيل فصعد الربوة واتخذ
له جحارا الى جانب جحار اليربوع واوطنه اياما ما نشا لا يرى
فيه ما يسوه قرير العين مسرور القلب فهذا هذا ما اخبرني
به مودي فقال الملك صدقت ايها الوزير الصالح فالله لقد وجدت
ناصحا واصبحت مرشدا وتلطفت مبلغا ودعوت سميعا
فالتمس لنا ربوة نرتضاها للاستقرار بها نلزم انفسنا الصبر على صعودها
ونقصرها عن مالوف ملاذها وانبساطها في هذا العالم الخبيث
فلعلنا ان نجتني السلامة التي اجتناها اليربوع من سيل هذه
الفتن فقال الوزير ايها الملك السعيد المغذى بالنفوس الزكية

عشت

عشت ما بدا الكلاب تعيش ونلت ما املت فما اعجب فوزك ما
نعما انك من نعمك وتعلوه علمك من حلمك واني لاعرف في ناحية
من مملكة الملك معقلا لا تصل اليه ايدي اهل الارض اضلال رجال على
الكواكب تتقاصرت دونه الابصار اللامحة والافكار الطامحة
وهو مع ذلك ذو اهواء عليل وماء سلسبيل وحدائق باسقة
ومزروعات ناسقة وقد بعض سلف الملك السعيد عني به
بعض العناية فتقطع عليه امله الحتم القاطع عن نفود الحبوة
فلما سمع الملك ما دله الوزير عليه ملئ سرورا وركب من
فوره في خاصته حتى انتهى الى ذلك المعقل الذي دل عليه وزيره
فوجد في نزاهة عينه افضل مما صوره الوزير في نفسه ووجد به
رسوما ونبذة واثارا اثرها بعض من تقدم من ابائه فحشد اليه
اليه المهندسين والبنائين والنجارين وامرهم بالجد في كماله
وبادر من فوره فنقل اليه خواص بيوت امواله وخزائن سلاحه
ونفائس ذخائره وحشد رعيته لحمل الارز اليه فاودعوا الارز
المقشور وغير المقشور وما ظن ان فيه كفاية وذلك ان الارز
الذي لم يقشر كثير البقا واعد لنزوله عادته وهو مع ذلك
يسد الثغور وتجنيد الاجناد وتشييد الحصون فلما مضت
ثلاثة اشهر من يوم كتبوا اليه جواسيسه بحركت المرزبان
وحشده الا وقد اقتحم المرزبان ثغوره في الجيوش المتوافرة
والعدد الكاملة وظهر دعاة كسرى بتلك الناحية ممن استفسدوه
من الرعية فغلبوا على من يليهم من البلاد واستعمل المرزبان

عليها من ثقاة اصحابه ورتب فيها جماعة من جنده ومن أهلها ثم
دنى بطوي الارض فوافقته جيوش الاركن فدافعته بعض
الدفاع ثم انهزم من كان في قلبه دغل وانهزم الناصحون بانهزامهم
واستولى المرزبان على عسكرهم واستبقى النفوس واخذ الاموال
ثم تجاوزهم بطوي المملكة طيا وكان الاركن عندما فتح المرزبان
ثغوره قد بعث باهله وحشمه الى ذلك المعقل وجمع وجوه
تابعي حضرته فوعظهم وذكرهم ما سلف من احسانه اليهم
وذكر ما بلغه عنهم من فساد الطاعة وما كره من انحيازهم ومعاتبة
المستأمن منهم فتنصلوا مما رموا به وحلفوا على استقامة طاعتهم
وصدق مناصحتهم فقال الملك اني لم اجمعكم لهذا ولست بناكل عن
عدوي ولا مستبعد للظفر والنصر عليه ولا مستعين بهمة
احدكم غير انه اخبرني بعض خواص وزرائي عن ملك من
سلف انه شرع في بنا معقل وعني به فحال بينه من تمام عماره ار دمن
ذلك الانحلال المحتوم من عالم التركيب فحملني على تكملة ما شرع
فيه جدي قول الحكيم ان ابر الملوك من تمم به سعي سلفه واعظم
من انقطع سعيهم عنده ثم اني احببت ان اجعل ذلك الحصن من
عددي وذخايري لقول الحكما ان احزم الرعاة من اعد لجميع
قضايا العقل احكاما وقولهم تجب على الملك ان لا يخلو من
خمسة معاقل يتحصن بها احدها وزير صالح يتحصن برأيه والثاني سيف
قاطع يتحصن بحده اذا غشي عليه والثالث فرس سابق يتحصن بظهره
اذا لم يمكنه الثبات والرابع امراة حسنا يتحصن بها فرحه ونصره

والخامس

والخامس قلعة منيعة يتحصن بها اذا احيط به فاتخذت هذا
المعقل لتكمل به حضرتي وتقلت اليه ذخايري وما يكرم علي
من اراد منكم ان يقتدي في فعلي بالحزم فليفعل ولما فرغ من
مخاطبتهم اذن لهم فخرجوا من عنده فاقتدى منهم من كان على
ذا عقل وخبرة فجهزوا الى ذلك الحصن اهليهم واموالهم واقواتهم
واما المرزبان فانه سار في تلك المملكة يطويها طي السجل لا
يقاومه جيش الا هزمه حتى اشرف على حضرة الاركن فنزل
فرسخ منها وتهيب الاقدام عليها وقد كان الاركن امر الناس
بالخروج اليه فخرجت امة عظيمة وخرج الاركن في اربعة
الف مقاتل من عبيده وخاصته فقام بهم في معزل من جيوشه
ورعيته بظاهر المدينة وعبى قبوله ورتب صفوفه وكان
في المدينة داعيان من دعاة كسرى فاغتنما الفرصة واهتبلاها
عند خروج الملك من المدينة فظهرا واتبعهما من كان على رأيهم
فوثبوا بخليفة الملك في المدينة فقتلوه واستولوا على المدينة
وضبطوها فبينما الملك قايم في جنوده بظاهر المدينة اذ اتاه
رئيس الرمازمة حافيا حاسرا لاطما وجهه وينتف شعره
فامر الملك بحمله اليه واستخبره فاخبره بذهاب دار ملكه
وخيانة رعيته فانحاز الملك بخاصته ومن كان على نصح
في طاعته وتوجه نحو الحصن وانتهى خبره الى المرزبان فجرد
خيلا لاتباعه فادركوه فوقف بازائهم من كفى امرهم وسار
حتى دخل حصنه ثم سلم واما المرزبان فانه قصد المدينة

فدخلها وضبطها واحكم امرها ثم سار في جنوده الى ذلك الحصن
فراى منظرا عجيبا رايعا ومعقلا ممنوعا مانعا فلم يمكنه النزول
بالقرب منه فتلصص الى حيث امن ونزل في جيوشه فتحفظا
وكتب الى الاركن الهندي كتابا يخاطبه فيه بالتعظيم والاجلال
ويعرض عليه خصالا منها ان يرده الى دار ملكه موفرا على ان
يدين بدين كسرى ويدخل تحت طاعته فلما انتهى رسول المرزبان
الى الملك الاركن حجبه ولم ياخذ كتابه وامره بالعود الى مرسله
تيسر المرزبان منه وكان يقال من وكل النصر عدوك اضاعه
واصغاوك السمع الى حديثه طاعة وكان يقال اذا امكنت عدوك
من اذنك فقد تعرضت للغرق في بحره والحصول في وهن سحره
وكان يقال عجبا لمن يصغي الى عدوه سمعا ولا يرجوا عنده نفعا
وكان يقال اذا عجزت عن التحصن من كلام عدوك فانت عن التحصن
من كيده اعجز ثم ان المرزبان عاد الى المدينة وكتب الى كسرى بالفتح
وبما تهياله وعليه من الامور فكتب اليه كسرى يامره ان يقيم
بتلك المملكة ويترك التعرض للاركن في حصنه الا ان يبدوا منه
فساد وان يذكي العيون عليه ويقيم المسالح في جهات حصنه
ففعل المرزبان ما امره به كسرى ولبث كذلك مدة وجعل
اعنام الفرس واصحاب المرزبان يعبثون بتلك المملكة ويعاملون
اهلها بالفضاضة والفسوق التي طبع الهند على ضدها فوقعت
الشحنا في النفوس وداخلت اهل تلك المملكة الغيرة لما راوا ان
خراج ارضهم يحمل الى غيرها وينفق في غير اهلها وعرفوا فضل

ما كانوا

ما كانوا فيه ومشقة ما صاروا اليه فبسطوا ايديهم في البلاد وخاف
المرزبان ان يردعهم عن الفعول فيستوحش تلك عنهم وكان يقال
ايدي الرعية تبعا لالسنتها فان قدرت على ان تقول قدرت على
ان تصول وكان يقال ترك تكبير الصغاير مدعاة الى الكباير فاول
نزو المراة كلمة سوء سومحت بها واول جزن الدابة جبرة سومحت
عليها قال واما الاركن الهندي فانه لما استقر في حصنه شاور وزراه
فاشاروا عليه بالصبر وكف الاذا وبسط العدل وتامين السبل
واجارة المستجير وتالف المستوحش والاخذ بالعفو فاتخذ
هذه الخصال شرعا يدين بها فازدادت حسنا والقلوب اليه ميلا
والالسن له شكرا واتفق ان عاملا للمرزبان على ثغر من تلك الثغور
اسا السيرة فقام اليه رجل وكان افضل اهل عمله فوعظه
ونصح له فكره العامل ذلك وكتب الى المرزبان يزعم ان رجلا
من اهل عمله يعارض اصطناع امره ويولب العامة عليه فاجاب عليه
المرزبان بامره بحمله اليه مقيدا فاخذ العامل ذلك الرجل فقيده
وبعث به اليه مع رجال من الجند فتبعهم احداث من الفتيان
الثغر فقتلوا الموكلين بذلك الرجل واطلقوه فاتى الرجل الى العامل
واخبره بما فعل اولئك الاحداث وانه عجز عن دفعهم فامر به
العامل فقتلوه فضربت عنقه وكان ذا منزلة عند اهل البلاد
فوثبوا على العامل فقتلوه وقتلوا اكثر رجاله وضبطوا
ثغورهم وانطوى اليهم من كان على مثل رايهم وكاتبوا من
يليهم فاجابوهم الى مثل ذلك ما صنعوا وطردوا عمالهم

وقوله صل الله عليه وسلم

في اسرع مدة ولما انتهى ذلك الى المرزبان جمع جنده وحفظ حصونه
على حال ذعر وخوف شديد فكتب الى كسرى بنعمه وكان اهل حضرته
عندما خرج عنهم رئيس الزمازمة وتوجه ملكهم الى حضرته
قد ندموا مكانه خليفة وكان مرضيا عندهم فلما راى ما فيه المرزبان
من الذعر والتوقي وقصده من خاف بالمحنة والعقوبة دخل على
المرزبان فقال اني اريد ان اسالك عن امر ظننت علمه عندك فقال
المرزبان قل فقال بلغني ان مما اوصى به اردشير بن بابك ملك بابل
انه قال عنف السياسة تخرج الرعية الى ما تريد من المعصية وانه
قال في وصيته ينبغي لمن تغلب على ملك وغصبه ربه ان يحفظ
الصورة والشريطة التي تسلم عليها تلك المملكة فانها محفوظة
عليه وثابتة في عقد تسلم تلك المملكة وانها ستخرج من
يده بمثل ما صارت اليه ونقل ان هذه الوصية مكتوبة في مجلسه
بازاء سريره وموضع قضائه ففهم المرزبان ما اراده الا انه
اراد التوقف على اخر ما عنده فقال الامر على ما بلغك ايها الشيخ فقال
ذلك الخليفة اذا كان الامر كما بلغني فما لك لم تستعمل الحكمة التي علمت
وعنفت في سياسة الرعية عنفا اخرجها ولعله ان يخرجها
ولم تحذر خروج هذه المملكة من يدك بمثل ما صارت اليك فلما
سمع المرزبان كلام ذلك الخليفة انتهره وهدده وكان
شيخا ضعيف البدن كبير السن فسقط الى الارض مغشيا عليه
وحمل الى منزله فمات بعد ايام فعظمت لموته المصيبة
وساءت الحالة وسمحت له النفس بالشقاق بما كانت منقبضة

عنه

عنه وظهر فساد الرعية فاحضر المرزبان وجوه من بحضرته فوعظهم
وحذرهم بطشه ورغبهم في العافية فارضوه بالسنتهم وتسللوا عنه
وغلظ امر اهل الاطراف المنقبضة وشغل عنهم المرزبان بتحصين
البيضة فبعثوا رسلا الى الاركن الذي كان ملكهم يسالونه الصفح
عنهم وان يبعث اليهم رجلا يتحيزون اليه فاعطاهم امانا عاما
واستعمل عليهم عاملا فالقوا اليه المقاليد واستنصروا في طاعته
وتنحوا في الذب عنه واضطر المرزبان الى ان يبعث اليه جيشا
فبعث فعادوا منهزمين ولم يجد بدا من الخروج اليهم بنفسه
فحصن دار الملك وخلف عليها من ظن انه يضبطها وخرج متوجها
الى عدوه فلما فصل عن المدينة وثب اهلها باصحابه فاستوعبوهم
قتلا وتشريدا وحرزوا ما بينهم وبلغ ذلك المرزبان فاستمر لوجهه
خارجا من تلك المملكة حتى قدم على كسرى طريدا مغلولا وعاد الاركن
الى دار مملكته فجرى على سنن العدل والاخذ بالحزم وقمع شهواته
واستعمل الحكمة الى افادته التجارب اياها **روضة رائقة**
ورياضة فائقة سال امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال
لجلسائه وهو محصور في الفتنة وددت لو ان رجلا صدوقا اخبرني
عن نفسي وعن هؤلاء الذين حصروني فقام اليه شاب من الانصار
فقال انا اخبرك يا امير المؤمنين انك تطاطات فركبوك وتخادعت
لهم فسلبوك وما اجراهم على ظلمك الا افراط حلمك فقال صدقت
اجلس ثم قال هل لك علم بما يثير الفتن فقال نعم يا امير المؤمنين
سالت عن هذا شيخا من تنوخ كان ذا فقه قد نقب في البلاد

وعلم علما جما فقال لي بثيرها امران احدهما اثرة تنصعن الخاصة
والثاني حلم يجري على العامة وما رعمر رضي الله عنه فقال سالته عما
تخمدها قال نعم قال لي انه تخمدها في ابتدايها استقالة العثرة
وتعميم الخاصة بالاثرة فاذا استحكمت الفتنة فليس لها الا الاريم
فقال عمر رضي الله عنه فهو ذاك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين

تفسير الفاظ اشتملت عليها هذا الحديث ينحو الى ذكر الفرس
قال محمد رضي الله عنه ان يزدجرد بن بهرام سال حكيما من الفلاسفة
ما صلاح الملك فقال الرفق بالرعيه واخذ الحق منها بغير عنف والتودد
بالعدل وامن السبل وانصاف المظلوم قال فما صلاح صلاح الملك قال
وزراوه اذا صلحوا اصلح قال يزدجرد ايها الفيلسوف
ان الناس قد اكثروا في الفتن فصف لنا ما يثيرها وما يسكنها
اذا ثارت فقال يثيرها جراة عامة ويولدها استخفاف الخاصة
ويوكدها انبساط الالسن بضماير القلوب واشفاق موسر وامل
معسر وغفلة ملتذ ويقظة محروم فقال يزدجرد ايها
الفيلسوف ما يسكنها فقال يسكنها ايها الملك اخذ العدة لما يخاف
وايثار الجد حتى لا يلد الهزل والعمل بالحزم والادراع للصبر
والرضا عن القضا وبالله التوفيق السلوانة الرابعة
سلوانة الرضى قال الله تقدس اسمه علينا من خلال حلمه وتدبيره
وسخط قسمه فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم
يسخطون ثم نبههم على ما حرموه من فضل الرضى بقوله ولو
انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيوتينا الله

من فضله

من فضله انا الى الله راغبون ووصف صفوته من خلقه بالرضى
تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ومما يفهمك معنى رضي الله
عنهم ورضاهم عنه ما روي ان موسى عليه السلام قال الهي دلني
على عمل اذا عملته رضيت به عني فاوحى الله تعالى اليه انك
لا تطيق ذلك فخر موسى ساجدا لله عز وجل متضرعا اليه فاوحى الله
اليه يا ابن عمران ان رضاي في رضاك بقضايي وبما رويناه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اسالك الرضى بعد
القضا قيل انما قال بعد القضا لان الرضا قبل القضا انما هو
عبارة عن العزم على الرضا وتوطين النفس على الرضا بالقضا اذا
نزل وانما تحقيق الرضى بعد حصول القضا خبر نبوي في مثل
ذلك مما رويناه ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي رجلا من اصحابه
وقد اجهده المرض والحاجة فانكره النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له ما الذي بلغ بك ما ارى فقال المرض والحاجة يا رسول الله
قال افلا اعلمك كلاما ان انت قلته اذهب الله عنك ذلك
فقال والذي بعثك بالحق نبيا ما يسرني بحظي منها اني شهدت
معك بدرا او الحديبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل
لاهل بدر والحديبيه ما للقانع الراضي منثور ومنظوم
في حكم الرضى روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كتب الى ابي موسى الاشعري اما بعد فان الخير كله في الرضى
فان استطعت ان ترضى والا فاصبر واعلم رحمك الله ان
الرضا هو اطراح اقتراح على العالم بالصلاح اذ كان العدل حقا

كان سخطه حتفًا ومن رضي حظي ومن ترك الاقتراح افلح واقتراح
ذكر الرضا عاملاً قبل ان تكون له معمولاً وصار اليه عاجلاً والا
صيرت اليه معدولا وقيل للحسن البصري رضي الله عنه
من ابن اتي الخلق قال من قلة الرضى عن الله قيل له ومن اين قلة
رضاهم عن الله قال من قلة المعرفة ومما قلته في الرضا

يا مفزعي فيما اجي ... وراحمي فيما مضى
عندي لما تقضيه ما ... يرضيكم من حسن الرضا
ومن العطيه استعيذ ... مصرحا ومعرضا

وقلت في ذلك ايضا

كم من مدبر الحكيم ... علي وحل على وحال
وارض القضا فانه ... حتم احله اجل

وقلت في ذلك ايضا

يا من يرى حالي وان لبس لي ... في غير ما يرضيه اوطار
حاشا لذاك الفضل والغفران ... يهلك من انت له جار
وان تشا هلكي فيا مرحبا ... بكل ما تقضي وتختار
كل عذاب منك مستعذب ... ما لم يكن بعدك والنار

وقلت في ذلك ايضا

اذا انا لم ادفع قضاءك رغبة ... بشيء سوى سخطي له وتبرمي
تعذر لي له من حسن معرفتي به ... كما ان رضوالي به من تكرمي

روضة رائقة ورياضة فائقة قيل ان يزدجرد الاثيم
بن سابور ذي الاكتاف لما ولد له بهرام جور اخبره منجموه
بقوة مولده وسعادة جده ومصيره لملك ابيه بعد شدة ومحنة
وطول اغتراب وانه ينشأ بين امة ذات همم علية وحلوم

زكية

زكية ونفوس ابية وبهم يصير الملك اليه فاجال يزدجرد
فكره في جنس يصلح لا مم فرأى ان العرب اولى بهذه الخصائص
من بين الامم بتلك الاخلاق التي وصف له المنجمون فوقع
اختياره عليهم وكتب الى النعمان الاكبر بن امرئ القيس
بن عدي بن نصر اللخمي فاحضره واستحضر واشخص اليه جماعة
من رؤساء العرب وسادتها فوصلهم وبرهم واخبرهم
بما يريد من تمليك النعمان عليهم فانعموا بذلك وشرف النعمان
وملكه على العرب وسلم اليه ابنه بهرام وامره بكفالته
فاسترضع له النعمان اربع نسوة صحيحات الجسوم ذكيات
الفهوم نجيبات الاعراق سويات الاخلاق امرأتين من العرب
وامرأتين من الفرس واجرى عليهن ما يصلح لهن وانكفى ببهرام
الى بلده فبنى له النعمان الخورنق لما اتفق عليه من طيب هوائه
وفضيلة مائه فارضع المرضعات بهرام اربعة اعوام ثم
فصله وقد صار غلاما حقق السرعة شبابه ولما استكمل بهرام
خمسة اعوام قال للنعمان انظر في تعليمي ما يحتاج الملوك الى علمه
فجرت بينهما محاورة اودعتها كتابي درر الغرر المضمن
انباء نجباء الابناء فكتب النعمان الى يزدجرد يساله ان
ينفذ اليه جماعة من حكماء الفرس وفقهائهم ومعلمي كتابهم
فارسل اليه يزدجرد بجماعة منهم ثم ان النعمان ضم الى
بهرام رجالا من علماء العرب وحكمائها ودهاتها وكان ذا سياسة
وخبرة بكثير من اللغات وحفظ الاخبار وسير الملوك

وكان اسمه جليسًا فافاد بهرام كل واحد من معلميه ما عنده
من العلم فلما استكمل من السنين اثنا عشر سنة فاق معلميه
كلهم واعترفوا بفضيلته واستغنائه عنهم فصرفهم النعمان
مكرمين وكره بهرام مفارقة جليس لكونه يجد عنده من المحاسن
والاداب والسياسه والاخبار ما لم يجده مجتمعًا في غيره
واستدعى النعمان من يزدجرد من يعلم ولده القياسه والفراسه وما
يحتاج اليه المحارب فبعث اليه يزدجرد بمن اراد منهم
فمكثوا عند النعمن ثلاث سنين فاستفاد بهرام جميع ما عندهم
من ذلك وصرفهم مكرمين وامسك جليسًا لشغفه به فلما
استوفى من السنين خمسة عشر سنة استاذن النعمن الملك
يزدجرد في القدوم عليه بولده بهرام فاذن له في ذلك فوفد
النعمن على يزدجرد بابنه واوفد معه روسا العرب وزعماوهم
فاحسن يزدجرد نزلهم واجزل صلاتهم وضاعف برهم واسلم
ابنه بهرام عنده واحتبس جليسًا لعلو نفس بهرام له وكان
يزدجرد فظًا غليظًا القلب عسوفًا شديد الكبر مجترئًا
على سفك الدما واغتصاب الاموال ولذلك سمي الاثيم فعامل
ابنه بهرام بالقسوة التي طبع عليها واتعبه وكده واستعمله
على سرايه فتبرم بهرام مما ناله من ابيه وعيل صبره وضاق صدره
فشكى الى جليس فرق جليس لشكواه ثم اقبل عليه فقال له ما معناه
رفع الله كرمك واعلى كعبك واطاب ذكرك في قلوب الامم
وافواهها واكب لعزك ملوك العرب والعجم بجباهها ان

اولى الناس

اولى الناس بامحاض النصيحه من كان معروفًا بها ومندوبًا لها
ومدعوًا اليها ومخصوصًا بها فانه كان يقال النصائح مرة
المبادي حلوة العواقب فهي كالادويه يسوء استعمالها ويسر
مآلها ويذم عيبها ويمدح غبها وكان يقال ~~انما يسعد النصحا~~
~~بالملوك بحسن المداراة وافراط التذلل~~ وكان يقال الامين يصحب
الملوك بالدأب على الخدمة والمبالغة في النصيحه والخائن يصحب
الملوك بحسن المداراه وافراط التذلل وكان يقال انما يسعد
النصحا بالملوك اذا كان مؤيدًا بالعقل لفضيلة النصح فان
لم يكن ذلك شقي به النصحا واستغشه ذو الملك وهذا لان
الناصح يثق على من نصح له عقله وبالعقل يدرك العقل وكان
يقال اشد اللوم ان تظن بالنصح على من يسمح لك بالثقة وان
تستر الصواب عن من هتك لك حجاب سره وكان يقال اولى
العقلا النصحا بقبولك منه واقبالك عليه من كانت سعادتك
شرطًا في سعادته وعلة لها ومن كنت منه بهذه المنزلة
فسعيه لك سعي لنفسه وذبه عنك ذب عنها قال جليس لبهرام
انه قد ساني تبرم ابن الملك وضجره لما لقي من خدمة ابيه وانا اشير
على ابن الملك باظهار البشر بما اظهره من التبرم والضجر اذ كان
الملك قد استعمله في عمل لا بد للعامل من اظهار البشر والطلاقه
وان من صحب الملوك بما لا يوافقها تحركت عليه بالغضب ولا
ينبغي مع هذا ان تظهر من ذلك ما يظن خلافه فان الريا يتطلى
ينصل بالطبع نصول الخضاب عن الشعر وليتامل ابن الملك

القضية التي ذكرتها بعض العذل يظهر له حسنها وذلك ان
الملك استعمله على شرابه الذي هو جماع لذته وحليف طربه
ومسرته وراحة نفسه من نصب التدبير ومشقته ووكل مع هذا
حراسة مهجته ورضيه لحفظها في مجالس خلوته ووثق بكفايته
في صون شرابه من بلية [illegible] اوافة يفضله بها اعداوه
من جهة الشراب او حال يدخله على عقله السكر والاضطراب
وكيف يصلح ان يعدل الولد النجيب الحبيب بهذا العمل العلي
قدره العظيم خطره ام كيف يطيب نفس الولد الفاضل
ان يرى اباه صار في هذا العمل الى سواه فليصرف ابن الملك فكره
فيما ذكرته له ما يظهر من الغبطة بهذه الخطة راجعا الى
عقد يوافقه ومعنا يطابقه ولا يتخلف من ذلك الا ما ينبغي
رفضه ولا يلزم منه ما يستحب نقيصة فتم عليه بها اسوه
توسع الابصار وتكهن الافكار **فانه كان يقال** الرياسة تخدع
الفطن القاصرة ولا تخفى عن البصاير الباصرة **وكان يقال** انما
ينبسط سلطان الريا على السمع والبصر اللذين يدركان الشهادة دون
الغيب واما العاقل فلا ينبسط سلطان الريا عنه لان الاول
الحد قد كاشفه بكثير من الغيب لاختصاصه اياها فقد فطن
الدب على بلادته لرمانا القردة لاختصاصه اياه فقال بهرام
اخبرني عن ذلك فقال جليس ذكروا ان دبا كان يسرح في غيضة
ذات اشجار مثمرة وكان في تلك الغيضة قرود فكان الدب اذا
يرى قوما القرود على رؤس الشجرة والتناول لاغصانها واجتنا

اطايب

اطايب الثمر حدثت نفسه بان يصيد قردا منها ويكفيه ان
يجتني له الثمر فصعد شجرة والقى نفسه منها والقردة تنظر اليه
وجعل يتخبط طويلا ثم تماوت وفتح فاه واخفى نفسه واجتمع
القردة لرايته فقال لها حازم منها لا يبعد ان يكون هذا الدب
خادعا لنا وان الحزم ان نجتنبه ونحذر منه فان لم يكن بد من
الدنو منه فهلم نجمع حطبا ونديره حوله ونضرمه نارا فان كان
متصنعا افتضح وان كان ميتا فلا ضرر علينا في احراقه **فانه**
كان يقال عدوك ضدك وحكم الضد التنافر والتنافس والتدابر
وكان يقال لا تطا ارضا وطيها عدوك الاعلى توق واحتراس
ولا يغرك خروجه منها وبعده عنها فربما ترك لك فيها شيئا كا
ونصب فيها اشراكا **وكان يقال** لا تغشى عدوك الا متسلحا
متحرزا متحفظا ولا يغرك فيه استسلامه والقا السلاح
فما كل سلاح يدرك بالبصر وقد غر الراهب اللص بمثل ذلك
فتم له ما اراد فقالت القردة اخبرنا عن ذلك فقال **زعموا ان**
راهبا فاضلا من الرهبان كان فاضلا وكان متبقلا في قلايته
بظاهر البلد فيه وكان شيخا فانيا قد نهكته العبادة وكانت
النصارى يخصونه بالصدقات فيقبلها ويعطيها اهل الفاقة
لزهده في الدنيا وان لصا من اللصوص راى كثرة ما يخص
به ذلك الراهب من الصدقات فحدثت نفسه بان يتسور
عليه قلايته في الليل وظن انه سيصيب عنده كنزا

تحيل ليلة من الليالي حتى تسور القلاية وحصل مع الراهب في
بيت تعبده فوجده قائما يصلي والسراج يزهر في البيت
فصاح اللص بالراهب استأسر ايها الشيخ قبل ان القي عنك راسك
فالتفت الراهب فرأى اللص فاذا هو شاب شديد التنبه
وبيده سيف مصلت فعلم انه لا قبل له به فقطع صلاته
وقرب يديه اللص الى ناحية من البيت في حائطها طاق
فادخل الراهب راسه في الطاق ورد يديه الى خلفه كما يصنع
بالمكتوف فلما راى اللص ان الراهب قد استسلم القى السيف
ووثب نحو الراهب ليقبض عليه حتى قرب من الطاق فانخسف
به ما تحته وسقط في دهليز القلاية سقوطا اوهنه ومكث
على حالته لا يجد مخلصا من الموضع الذي حصل فيه حتى اصبح
فدل الراهب عليه فاخذ وصلب وقد كان الراهب اتخذ في
طريق الطاق نفقا وجعل عليه طبقا ينقلب اذا اعتمد عليه
وغطاه ببعض فراش البيت فلما قصد الى الطاق هاربا بين
يدي اللص تحرف عن ذلك الموضع وتخطاه لمعرفته به ولم يضع
رجله على الطبق واللص لا يعرف ذلك ولا استعمل الحزم بالتحفظ
بل عول على ما ظهر له من استسلام الراهب ولم يدر انه قد اعد له
سلاحا لم يدركه البصر فلما سمعت القردة كلام حازمها والمثل
الذي ضربته لها توقفت على الاقدام على الدب وانتشرت بجمع الحطب
لاحراقه فاتى غر من القردة لم يكن حاضرا ذلك المقام ولا سمع
مقالة ذلك الحازم فدنا من الدب واصغى باذنه الى انف الدب
ليسمع

حتى نفسه فقبض الدب عليه وعمد الى عرق من عروق الخيزران
ثم ربط طرفه في وسط القرد وكلفه ان يصعد الشجر فيجتني
له اطايب الثمر ويلقيه اليه والدب ممسك بطرف الاخر من
عرق الخيزران فلبث القرد بذلك بقية يومه ثم انصرف
به الدب الى الغار فادخله فيه وسد بابه عليه بصخرة ولما
اصبح غدا على القرد فاخرجه من الغار وانطلق به الى الغيضة فجنى
له الثمر عامة نهاره ثم رجع به الى الغار فسجنه فيه فلبث بذلك
مدة والدب قد بلغ مناه والقرد في اسوأ حال واعظم مشقة
يعمل نهاره في خدمته ويبيت ليله في سجنه وكان يقال
من تعرض لما لا يعنيه تورط فيما يعنيه وكان يقال شهوات
العاقل مزورة فكره فاذا انبعثت له شهوة مرت بفكرته فنظر
الى مباديها وعواقبها وتعرف ما فيها بحكم الراي وفكر الاحمق
مزور شهواته فكلما انبعثت له شهوة مرت لوجهها نافذة
لا يصدها شيء وكان يقال انما صار يسير المؤنة المتحملة
للعدو ثقيلا لان الارواح تتحمل منها اضعاف ما تتحمل الابدان
فيصير الاذى بها عاما وليس كذلك المؤنة المتحملة للحبيب
لان الارواح تتلذذ بها وتستخدم الابدان بها قال ثم ان القرد
تفكر في حاله وظهر له ان نصحه في خدمة الدب يمنعه من الخلاص
فندم على نصحه في الخدمة وعلم انه لا ينجيه منه الا الحيلة
فطالت فكرته في ذلك الى ان اتجه له وجه الحيلة فيه وكان
يقال اذا كان المملوك ميت الشهوة بليد الفكرة رذل الهمة

فهو سلم لمالكه ولئن لم يكن بهذه الصفات فان الحقيقة شريكا
هو املك به من صبره وذلك انه ان كان متحرك الشهوه
كان منقادا لطاعتها واذا صح فكرته اعملها في طلب الراحة
من النصب والخلاص من الاسر واقامه الحجة في الدفع عن نفسه
واذا امت همته اتصف بالغضب والانفة والحقد ويريد ما لا
يريد سيده قيل وكان مما عولت عليه القرد من الخديعة للدب
ان تظاهر بضعف البصر فصار يلقي الى الدب من الكترما لا
خير فيه فزجر الدب عن صنعه فلم يرتدع وضربه فلم
يرتدع ولما طال عصيانه قال له الدب اني قد سئمت من
زجرك وضربك وقد حدثتني نفسي باكلك لانه لم يبق
لي فيه منتفع وكان يقال اذا لم تجد من الخدمة الامين
سادتك فاخدم نفسك ولا تستخدمه لانه يحمل على قلبك
من المشقه اضعاف ما يحمل عن يدك فقال القرد اني لست على ما
نصفتني من سوء الادب ولو قتلتني لندمت كما ندم صاحب
الطحان حين قتل حماره فقال الدب اخبرني عن ذلك فقال
القرد يحكى ان طحانا كان له حمار يطحن به وكانت له زوجة
سوء يحبها وهي تحب جارا لها وذلك الجار الذي تحبه يبغضها
ويمتنع منها فراى الطحان في منامه ان قائلا يقول احتفر في
موضع كذا في مدار الطاحونة تجد كنزا فحدث امراته برؤياه
وامرها بكتمانه وكان يقال من زعم انه يجد راحة افشا سره
الى غيره فانهم عقله لان مشقة الاستبداد بالسر وترك المشاوره ركة

اقل

اقل من مشقة الحذر من انتشاره بسبب المشاركة فيه وكان يقال
امران يسلبان الحركما الحرية وهما قبول البر وافشاء السر
وشرح هذا ان من قبلت برة فقد وجبت على نفسك الخضوع
له والاحسان برق الانسان وكذلك من اطلعته على سرك فان
حذرك من افشائه يلزمك قبل النفقه له وكان يقال المراة
موهلة لبيت نعمة وطعام ترجه وولد تربيه ومغزل تديره
وشيء تسكنه وتستره ممن اشركها في امره واطلعها على سره
فقد التحق بمعالمها اذ ليس في قواها الا التحاق بعاملة قيل فلما
حدث الطحان امراته برؤياه اخبرت جارها الذي تهواه
وتقربت بذلك من قلبه فواعدها ان نطرق الموضع ليلا
لينبشا وبنا على حفره وفعلا ذلك فوجدا الكنز واستخرجاه
فقال جار المراة لها كيف نصنع بهذا المال فقالت المراة نقسمه
نصفين بالسوا ونبطلق كل واحد منا بنصيبه الى منزله
وتفارق انت زوجتك واحتال انا في فراق زوجي فاذا اجتمعنا
على النكاح جمعنا المال فكان بايدينا فقال لها جارها انا اخاف
ان يطغيك الغنا فتنكحي غيري وانه كان يقال الذهب في
المنزل كالشمس في العالم وكان يقال اليسار مفسدة لغلبة
شهواتهن على عقولهن وكان يقال لا تسمح لولدك ولا لامراتك
ولا لخادمك بما فوق الكفاية فان طاعتهم لك بقدر
حاجتهم اليك ثم قال بل الراي ان يكون جملة المال عندي
لتحرصي على التخلص من زوجك واللحاق بي فقالت له المراة

اني اخاف منك الذي اخاف ولست بمسلمة لك حظي من هذا المال فلا
تحرني على حظي منه وقد اثرتك بالدلالة عليه وانه كان
يقال انما صار العدل والانصاف مشكورا عليها لفساد الزمان
لان الشكر انما يجب لمن تفضل بطوله واما من اعطى الحق اهله
فهو محمود لا مشكور فلما سمع مقالتها دعاه البغي والشره والحذر
من منعها عليه الى قتلها فقتلها والقاها في موضع الكنز وباغته
الصبح فاعجله عن مواراتها فاحتمل المال وخرج ودخل الطحان
على اثره ثم ربط حماره في المدارة وصاح به فمشي خطوات
ثم اعترض الحفيرة والقتيل بين يديه في مداره فوقف فضربه
الطحان ضربا شديدا والحمار يتلوا ولا يمكنه التقدم
والطحان لا يدري ما بين يدي الحمار فاخذ سكينا وتحته
نخسات كثيرة ثم استشاط عليه غضبه فطعنه بها
على خاصرته فمرت فيه السكين وسقط ميتا ولما انتشر الضوء
الطحان الحفير ووجد امراته فيه قتيلا فاستخرجها من اثار
الكنز فاشتد اسفه على ذهاب الكنز وهلاك امراته والحمار
ففعل بنفسه فلما سمع الدب مقالة القرد قال له قد ظهر بما
اضربت من المثل عذر الحمار فما عذرك انت فقال له القرد
ان بصري ضعف واني اخاف ان يذهب بالجملة فان رايت
ان تنظر في صلاحه فذلك بيدك فقال الدب ومن لي بصلاح
بصرك فان فيه صلاحي فقال له القرد ان الاطبا لكثيرة ولكن
العاقل لا يستطيب الا لمن لم يكن من عالمه وان للقردة لمن طب الارض

طيبا

طبيبا بصفه بجودة القناعة والزهد في متاع الدنيا واني
لا استروح العافيه من تلقائه واستلوح الفرج في لقايه فاجابه
الدب الى ما اراد وقصد به القرد وكان قردا موصوفا بالخبث
والدها فلما بلغا اليه فر من الدب فصعد شجرة وقام الدب
تحتها فقص عليه علته فالامه ورغب اليه في مداواته فقال له القرد
الخبيث دعه يطلع حتى انظر الى عينيه فارتقى له وهو في الخيزرانه
فصعد فجعل يتامل عينيه ويساله عن خبره فقص عليه خبره مع
الدب ويساله ان يفتح له باب المكيدة في الخلاص من يده فقال
له القرد الخبيث اني ساحمله على السهر فاحتل لنفسك بانتهاز
الفرصه اذا نام وكن على حذر من ان ينام ليخبرك ثم امره
بالنزول فنزل فاقبل على الدب القرد الخبيث على الدب فقال له
ينبغي ان اعرفك داء عينيك هذا قبل ان ادلك على دوائه اذ
يستحيل العلم بالدواء من الجاهل بالداء فاعلم ان القردة انما
صحت جسومها وقلت لحومها وتوقد فطنتها وفهمها
لانها وفرت على السهر دواعيها وجعلت ليلها حظا من
مساعيها وانه كان يقال كثرة النوم تجلب الدمار وتسلب
الاعمار وكان يقال من لزم الرقاد حرم المراد وكان يقال لا يصح
ان يقول في حد الجود انه سماحة النفس بالنفس ولو صح
هذا لكان اجود الاجواد من كثر نومه لانه يسمح بعونه
التي عدها كفا ولا يصيب منها عوضا ثم قال له القرد الخبيث
انك لما اخرجت عينك هذا اعمانا دا دخلته عليه

الفساد كما صنع بالطاير الذي صيد لابنة الملك قال له الدب
اخبرني عن ذلك فقال القرد ذكروا ان ملكا من ملوك النوانيس
كانت له ابنة تكرم عليه جدا فهاجت عليها المرة السودا فادخلت
عليها انواعا من الامراض وبلغ بها الامر الى الامتناع من الغدا والدوا
فاشار طبيبها ان تنقل الى ارتفاع تشرف منه على بستان انيق
وماء جار ففعل ذلك بها فرات في ذلك اليوم الذي نقلت فيه
الى ذلك العلو طايرا فيه من كل لون قد نزل على الية فاكل
من عنبها ثم غرد تغريدا عجيبا بانواع النغم المطربة قال
فارتاحت الجارية لما رات وسمعت من الطاير واستدعت
الغدا وكان يقال افضل النغم المطربة ما سمع من الصور
الحسنة لانه يحرك الشهوة والطرب جميعا فينتظا فر القوتان
ويفعلان فعل الادوية المركبة فانه انجع من المفردة واشد
فعلا قيل ثم ان الطاير اسرع الذهاب ولم يعد يومه ذلك
فظهر في ابنة الملك القلق لغيبته ولما كان من الغدا عاود
الطاير الدالية في مثل وقته بالامس فسرت ابنة الملك لعوده
واستبشرت وارتاحت واكلت وشربت فانصرف الطاير من
يومه كما فعل بالامس فعاودها القلق لغيبته فبلغ الملك خبرها
في ذلك فامر باصطياد ذلك الطاير فاصطيد لها وجعل
في قفص واتحفت ابنت الملك به فاشتد سرورها وتداوت
واغتذت وراى الطبيب انتعاش قوتها فعالجها وطمع في
سلامتها ولم يعلم بامرها مع الطاير وان ذلك الطاير لبث

عندها

نعادت بح...

عندها اياما لا يصوت ولا يطعم شيا واخذ حسنه في التغير
فصارت الجارية الى اسوا حال وجعلت تذوب لما نالها من
الاهتمام بامر الطاير مضافا الى مرضها فعلم بذلك ابوها فندم على
اصطياد الطاير وكان يقال لا تكن تلميذا لمن تبادر الى الاجوبة
الى المسايل قبل ان يتدبرها ويتفكر فيما يتفرع منها وبعد
لكل ما يمكن ان يعترض به على جوابه ويلزمه خصمه من
المناقضة لاصوله دافعا كما انك لا تنتسب الغر الذي
لا يجاوز مبادي الآراء الى عواقبها ولكن كن تلميذا لمن يتفكر
في الاواخر قبل ان يحث على الاوايل كما تشاور المحنك المتدبر
لبطون الآراء وظهورها المطلع على مباديها وعواقبها قيل
فلما علم الطبيب ما انقلب حال الجارية اليه من الفساد علم
ان ذلك لعارض طرا عليها فبحث عنه فاطلع على قصتها
في الطاير فامر ان ينصب شباك محيطة بالبستان علوا وسفلا
فصنع ذلك على ما اشار به ثم اطلق الطاير في البستان فلما
رجع الطاير الى ما اعتاده والفه رجعت صحته وحسنه ورجع
وعاد الى تغريده فصلح بذلك حال الجارية ونقهت من مرضها
قيل فلما تم المثل قال الدب قد سمعت مقالتك ووعيت
حكمتك فامرني بما فيه مصلحة عبدك هذا اطع امرك فقال
القرد اني امرك ان تتاخر في مسرحك جزء من الليل فان ذلك
زيادة في عمرك وطعمتك ونعمتك وتهيج نشاطك ويتضاعف
لذة منامك ويضاعف بمصلحة غلامك فشكر الدب على نصحه

وانطلق بعد الى مسرحه فاجتنبنا له ثماره ذلك فلما جاء الليل
اظهر القرد نشاطا ومرحا واحتنبنا الى اضعاف ما يجتنيه ثمرات
طيبة فلبث بذلك صدرا من الليل ثم اتكفا به الدب الى
المغارة فبحته لها وعاد كعادته ولبث القرد اياما يتظاهر
فيها اذا جاءه الليل بقوة البصر ويجتني للدب اطايب الثمر
على حال تدريج والدب لم تسكن نفسه الى الثقة بالقرد بل
يتكيف عليه انه مراء متصنع مخادع وكلما تزايد من
من القرد تصنعه تزايد الدب من الريبة وانه ذات ليلة
من الليالي اراد الانصراف الى ماواه فجعل القرد يماطله ويقول
هاهنا ثمرات طيبة فتاخر الدب لما طبع عليه من الشره والنهمة
وكانت ليلة مقمرة فحدث الدب نفسه بان يتنام ويختبر
القرد ويتفحص بتمحن ظنه فتناوم وجعل يغط فلما كذب
القرد ان وثب هاربا وجذبه الدب بالخيزرانه خذبة شديدة
فانقطع ظهره قيل ولما بلغ جليبس غاية هذا المثل الذي
ضربه لبهرام امسك عن القول فقال ما يهجني تقريبك واقر
عيني ما تفيد بي من حلمك وتضرب لي من امثالك وتجلو
على من ملحك ولئن تفيت الى ان تدول لي دولة لاجعلنك
اول داخل علي واخر خارج عني وسا روض نفسي
بادابك هذه مستعينا بالله فسجد جليبسا ودعا له بنجح الامل
ثم ان بهرام حضر مشهد والده ليلة من ليالي سروره وقد نصبت
البواقي بين يديه وكل مثل الزراجب المجمله والنيجان الذي الرصعه

فذكر

فذكر بهرام ايامه عند النعمان وانتجاعه الرياض الانيقه
وشربه فيها على الازاهير المطلولة الى ما كان ينعم به من
مشاركة الوحش في تعاطيها ومرادها والتفكه بطرادها واصطيادها
فاطرق واستولت عليه الفكرة وعبس وتبقس لصعداء
وابوه يزدجرد يسارقه النظر ثم انه استفاق ونظر الى ابيه
وعلم انه كان غر امنه تسقط في يده ولم يمض الا ساعة حتى
قبض الملك يده ونكس راسه فنهض كل من بحضرته من ندمائه
وسماره وكانت تلك عادة الملوك ملوك الفرس اذ عبس
الملك منهم واطرق لم ينطق بحضرته احدا الا اسوى قايما
على حال حسنة وسكون وكان ليزدجرد مضحك طريف اللسان
لطيف الفطنة حسن الانتزاع جيد البديهة فحضر ذلك
المقام وفطن لامر الذي تنكر له الملك وان ذلك لما كان من
عبوس ولده واطراقه في مجلس المسرة فحدث ذلك المضحك
نفسه ان يحسن الى بهرام ويصطنع عنده يدا فيتحيل له بحيلة
تخصله بها من غضب الملك فبينما هو يناجي نفسه بالحيلة
في ذلك اذ رفع الملك راسه الى المضحك فنظر اليه كانه يخبره
على ان يصنع شيئا في سلوة له فسجد المضحك ثم جثا على
ركبتيه وقال العبد الذليل يستاذن الملك في شي ان يخبره
عن نفسه بخبر فنظر الى بهرام كالاذن له فقال المضحك ان العبد
في حداثة نفسه كلفا بالنسا مفرط الشبق اليهن الا انه كان
ملولا لا يثبت على محبة من احب منهن وكان كلما استحسن

امراة هام بها وتهالك عليها وكان يقال من اتبع خطة هواه
اوحشه واهواه وكان يقال كن من عينيك على حذر فرب
جموح حين حباه جموع عين وكان يقال ما اخر الملوك بان
يحرم المامول وكان يقال الشامة من اخلاق العامة لا من اخلاق
الخاصة وكان يقال التنقل من خلة الى خلة كالتنقل من ملة الى ملة
ثم قال المصحح وان العبد دخل بلاد السند فبينما هو يطوف
ببعض مدنهم راى امراة لم ير قبلها مثلها في حسن الصورة
وامتداد القامة ورشاقة الحركات ولباقة الاشارات وسحر
الطرف وتالق الظرف فتبعها العبد وهو لا يرى موضع قدميه
من الدهش حتى بلغت منزلها فدخلت ولزم العبد باب
منزلها ليلا ونهارا فارسلت اليه تستعيفه من لزوم
العبد منزلها وتحذره سطوة اهلها فشكى العبد على رسولها
ما يلقاه من الشغف واعلم الرسول انه لا معدل له من بابها
وانه مستميت في طلابها فلهيت عن العبد مدة ثم اعادت
الرسول اليه فرده العبد اليها مثل كلامه الاول فارسلت
الى العبد تقول له اني اظن بك الملل والغدر ولولا ذلك لاسرعت
الى مساعدتك واني متزوجتك بشرط الوفا فان غدرت اهلكتك
بعد ان انكل بك نكالا لا يضرب به المثل فان التزمت هذا
الشرط فافعل والا فانج بنفسك قبل ان يتعذر عليك الخلاص وكان
يقال اربعة ترفع الرحمة عنهم اذا نزل بهم مكروه من كذب طبيبه
فيما يصف له من دائه ومن تعاطى ما لا يستقبل باعبائه

باعبائه ومن

باعبائه ومن بذر ماله في لذاته ومن اقدام على ما حذر من افاته
وكان يقال من بصرك نقد نصرك ومن غضك فقد
ابغضك وكان يقال من اوضح وبين فقد نصح وزين ومن
حذر وبصر فما غدر ولا قصر قال المصحح فالتزم العبد الشرط
واعطى من نفسه المواثيق على الوفا وتزوج العبد المراة وبلغ منها
امنيته فلبث معها مدة ثم رآها تريث لها وجعل يراسلها
ويلازم بابها فتبرمت منه فحمل فلمحها العبد واعجبته ومالت
نفسه اليها فتبعها العبد الى منزلها وجعل يراسلها ويلازم بابها
فتبرمت منه وشكته الى امراته فعاتبته امراته على ذلك
وزجرته واذكرته العهود والمواثيق ونهته فازداد
الحاحا فلما رات ذلك منه سحرته فصار اسود اللون
مشوه الخلق وجعلت تستخدمه في كل مهنة فما شغله
ما هو فيه على ان هوا امراة سودا فجعل يتبعها في تصرفها
ويتعلق بها ويوذيها فلما كثر ذلك على الامة شكته الى امراته
التي سحرته وكان يقال ان من كان طبع المطبوع املك به من
ادب المودب لان الطبع اصل وتلك القوى الناشية معه
فهو املك بالنفس التي هي محله لاستبطانه اياها وكثرة
اعوانه لها والادب طارئ على المحل غريب به وكان يقال
اصل المود بين سبعا من رام من المودب ان يعاونه
على نفي طبعه عنه وكيف وطبعه اولى به واقرب اليه واثر
عنده من مودبه لكن المودب الماهر من طالب المتادب

بسير المذموم من شناعته ولغمته والنوريه عنه قال المضحك فلما
بلغ امراة العبد ما كان منه اشتد غضبها عليه ثم سحرته فصار
حمارًا فجعلت تكريه من يستعمله في اشق الاعمال ويحمله اثقل الاحمال
فلبث بذلك مدة طويله ولم يبعه ماهو فيه من البلا على ان
هو اتانا فاشتد شغفه بها فكان كلما راها نهق وطلبها اشد
الطلب ويرد عنها بالضرب فيلقا من ذلك جهدًا وبلاء شديدًا
واتفق ان امراة العبد التي سحرته زارت ابنه الملك [illegible] ملك
تلك المدينه فكانت معها في علو لها تشرف منه على ما حوله
وكان العبد في ذلك اليوم قد استاجره شيخ ضعيف البدن
كبير السن فاحتمل عليه اواني الفخار في جولقين ومر به على
قصر ابنه الملك فراى عند القصر ذلك الاتان التي يهواها
فما ملك نفسه ان نهق وقصدها وفعل ما يفعل الحمير مثل ذلك
وجعل الناس يضربونه من كل جانب والفخار يتساقط من
ظهره والشيخ صاحب الفخار يصيح ويستغيث بالناس
وجعل الصبيان والسفله يعطعطون من كل جهة والاتان
فارّة بين يديه ترمح وهو يطلبها على ذلك الحال فرات ابنه
الملك ذلك كله فاعجبها واضحكها فقالت امراة العبد
التي سحرته يا ابنه الملك الا اخبرك باعجب من ذلك مما رايت
من هذا الحمار قالت لها بلا فافعلي فاخبرتها بحديثه معها
واشتد عجبها مما رات وسرت به ثم سالتها ان يبطل سحر العبد
وتخلي سبيله فاجابتها الى ذلك وابطلت السحر عن العبد

فعاد

فعاد بشرًا سويًا فلم يكن له هم الا الفرار من بلاد السند قيل فلما انتهى
المضحك من حديثه الى هذا المبلغ سكت وقد كان الملك يزدجرد
اشتد ضحكه لما سمع من حديث المضحك وما شاهد من حركاته
في وقت حديثه فلما سكن ضحكه وعاوده الوقار والابهة اقبل على
المضحك وقد الفهر له فقال له ويحك فقال ما حملك على ان
تكذب هذه الاكذوبة الشنعا كانك ما علمت انا نحضر الكذب
على رعيتنا ونعاقبها عليه وقد قالت الحكما الكذب كالسموم التي
تقتل اذا استعملت مفردة وقد تدخل في تركيب ادوية فينتفع
بها ولا ينبغي للملك ان يطلق الكذب الا لمن يستعمله في المصالح كالكذب
في كيد الاعدا او في تاليف ابتعدا كما لا ينبغي ان تطلق تلك السموم
التي ذكرناها الا للمامونين عليها المتطببين بها من المعدين
فقال المضحك ايها الملك السعيد ان هذا مثل يتضمن من الحكم ما يعود
بمصلحة المراد به والذي حملني على ذكره امرًا يلزم ستره عن
غير الملك فاشار الملك الى جلسائه فقاموا وخرجوا عن مجلسه ثم قال
[illegible] للمضحك هات ما عندك فقال المضحك ان عبدًا للملك
يخبره ان ولده الفاضل بهرام عاشق قال الملك لمن قال [illegible] لابنة
الاصبهبد فقال الملك لقد كان من بهرام في هذه الليله ما يدل على
صدقك ولا لوم على ولدنا في ذلك اذ لم يصنع من نفسه عجيبة
ابنة حافظ ملكنا وسيد اوليا وسيبلغ ولدنا امنيته ونحن
البد فاطلع على امره واكتم ذلك حتى ينفذ امر ما فيه ثم ان
يزدجرد اذن لولده ولندمائه وسماره ومطربيه فعادوا

الى مجالسهم واخذوا فيما كانوا فيه ورجع الى يزدجرد سروره وطربه
الى ان انقضى مجلسه وخرج القوم من مجلسه وتبع المضحك بهرام
واخبره بالخبر على وجهه فشكر له ووصله ثم ان يزدجرد امكن
ابنه بهرام ابنة الاصبهبد ولم يزل بهرام يروض نفسه على الرضى
لخدمة ابيه حتى انقادت لما ارادها فلبث كذلك الى ان
قدم اخ لقيصر على يزدجرد ساعيا في الصلح والهدنة والموادعة
فاكثر يزدجرد قصده وعوله وفضله واحسن نزله فلما راى
بهرام منزلة اخا قيصر عند يزدجرد استشفع عنده في رده
الى النعمان فشفعه واذن لبهرام بالتحول الى بلاد العرب فكان
فيها على ما احب الى ان هلك ابوه وورثه ملكه قال محمد عفى الله
عنه هذه خاتمة سلوانة الرضى وقد عن لنا ان نذكر ما يجمل
به يجمعها وهو الاخبار عن مهلك يزدجرد وما احدث رعيته
بعده وكيفية مصير الملك الى ابنه بهرام وذلك فيما ذكره
المعتنون باخبار الملوك ملوك الفرس ان يزدجرد لما كثر عسفه
واشتد عتوه وعدل عن عمما نهجه سلفه من العدل والرافة
اجتمعوا وجوه رعيته من ذوي الصلاح عنده فدعوا الله على
يزدجرد وسالوه معا فانهم منه فرحم الله مراعاتهم واستجاب
دعائهم فبينما يزدجرد جالس في منظرة له دخل عليه حاجبه
فاخبره ان فرسا متوحشا عاريا قد جمع صفات الخيل فهو
ذو صورة لم ير الراوون مثلها جا يشتد عدوا حتى قام بباب
الملك وان الناس تهيبوه فلم يجتري احد ان يدنوا منه وان

الخيل

الخيل قد يا قربه فلا يقدم عليه فاستخف يزدجرد ما سمعه من
وصف الفرس فنهض نحوه فلما عاينه ملي اعجابا به ودنا منه فخضع
له الفرس فمسح يزدجرد بناصيته ووجهه وقبض بناصيته
وامر بسراجه والجامه فالجم واسرج فيقال ان يزدجرد استدار
بالفرس ومسح كفله فرمحه الفرس رمحة خر منها ميتا وملا
الفرس فروجه عدوا فما عرف الى اين توجه ويقال بل ركبه
يزدجرد وحركه فتنزوا الابصار الى ان انتهى الى البحر فاقتحم به فيه
والله اعلم اي ذلك كان ولما راى الفرس ان الله سبحانه وتعالى
قد اراحهم منه اجمعين على ان يخرجوا الملك عن ولده بهرام خوفا
ان يسير فيهم كسيرة ابيه فملكوا رجلا من ابنا ملوكهم
السالفة يقال له كسرى وكان مرضيا عندهم فمحا ما شرع يزدجرد
من المظالم واعفى الفرس من جميع ما كرهوه فعرف الفرس بركة
رايهم في تمليكه وانتهى الخبر الى النعمان فاطلع عليه بهرام
واخبره انه عاضده وناصره وان يبذل نفسه وماله في مرضاته
فشكر له بهرام وامر بشن الغارات على اطراف بلاد الفرس
مع الكف عن سفك الدما فامر النعمان العرب ان تفعل ذلك فاشتد
ضررهم فارسلوا الى النعمان يستشفعونه ويسالونه العود على
احسان المجاورة فلما انتهى الرسول الى النعمان قال لهم انما انا خادم
بهرام افعل ما يامرني به فاذهبوا اليه فذهبوا اليه فلما عاينوه
ملا عيونهم جمالا وصدورهم جلالا فخروا له ساجدين وسالوه
العفو والصلح فاجمل خطابهم وقسط امالهم وامرهم

ان يبلغوا امره واليهم حسن الراي فيهم مؤمل لاصلاح شانهم وانه
متوجه اليهم ليتولى اخبارهم عن نفسه واقامة الحجة عليهم فلما تهيّوا
لذلك ثم صرف الرسل مكرمين وامر النعمان فكتب له عشر كتايب
في كل كتيبة الف فارس من انجاد العرب ثم سار فيهم وسار النعمان
بين يديه في جيش كثيف فلم يكن عند الفرس له مدفع حتى
انتهوا الى دار الملك فنزلوا بظاهرها فخرج اليهم زعما الفرس
وحفظة دينهم ونصب لبهرام كرسي فجلس عليه وقام النعمان
بين يديه وتقدم القوم فسجدوا وقاموا بين يديه فاذن
لهم في الكلام فتكلم رييس الموابذ فحمد الله وذكر رافته بخلقه
ثم ذكر ما سار فيهم يزدجرد من الجور وما فعل الله به ثم اتبع
ذلك بذكر كراهة الفرس لتمليكه لما يتخوفونه من سلوك
سبيل والده لا سيما وقد نشا بين العرب الذين يصلحون خشونتهم
باخراب الارض وسالوه ان يعفي الفرس مما كرهوا فانهم لا يملكونه
طايعين ولا يقصرون في دفعه من ذلك بكل ما امكنهم فلما قضى
رييس القوم كلامه تكلم بهرام فحمد الله سبحانه وشكر نعمته عنده
وصدق رييس الموابذة فيما نسب اليه يزدجرد من الجور
والعسف ثم اتبع ذلك بذكر ما كان يتمناه من مصير الملك
اليه ليزيل رسوم الجور ويشيد قواعد الحق ويذيق الرعية
من حلاوة رافته واحسانه اضعاف ما اذاقهم ابوه من
تخليصه وانه مع ذلك يدعوهم الى ان يضعوا تاج الملك وزينته
بين اسدين ضاريين ويحضرهم وكسرى المتغلب على ملكه
من اخذ

من اخذ التاج والزينة من بين الاسدين فهو الملك اولا وذكر
لذا انما يفعل ذلك رافة برعيته ووثوقا لهم عن مقاومته ودفاعه
وثقته بنصر الله وعونه لما يعلمه من حسن طويته وخلوص
رغبته ونيته في اصلاح الارض واهلها فرضي زعما الفرس بما
بذله بهرام ورجوا الراحة منه بذلك من غير مشقة تنالهم في
دفعه وانقلبوا عنه متعجبين من جماله وكماله وفصاحته
وابهته ثم عمدوا الى اسدين ضاريين وجوعوهما واخرجوهما
الى ظاهر المدينة في قفصين من حديد وفي عنق كل واحد منهم
سلسلة في طرفها وتد من حديد فضربوا الوتدين في جهتين
مختلفين وجعلوا بينهما بقدر ما اذا خرج كل واحد منهما
من قفصه الاخر لم يبلغ اليه وجعلوا تاج الملك وزينته بينهما
وبحيث يمكن كل واحد من الاسدين الوصول اليهما والذب عنهما
وفتحوا القفص عن الاسدين فخرجا وقد اجتمعت امة عظيمة
من الفرس واجتمع العرب فقاموا بان اليهم فخرج بهرام من قبته
وقد شد وسطه بمنطقة وجمع ذيوله اليها بازرين الصنوف
ونادى كسرى ان اخرج ايها المتوثب على ملكنا المتغلب على
على تراثنا عن ابائنا فخذ تاج الملك الذي انتزعته من اهله فاجابه
كسرى انك اولى بالتقدم الى ما اعطيت من نفسك لانك الداعي
اليه المنتزع انك تطلب الملك بوراثته وانا غاصب فتقدم بهرام
الى الاسدين ولا سلاح معه فلما راى رييس الموابذ ان بهرام
قد عزم على فعل ما بذل من نفسه ناداه يا بهرام انك مستميت

ولا اثم علينا فيك فقال بهرام انا جعلت ذلك على نفسي لمن افتني فيكم
ولا بد من فعله فقال له موبذان ان كان لا بد فاعله فتوبة الى الله
من ذنوبك وتب اليه فاستعينه فذكر بهرام ذنوبه وتاب الى الله
الى الله منها وساله العون ثم دنا من الاسدين فتقدم اسد
منها فلما قاربه راغ عنه بهرام روغة ثم وثب من الارض فاذا
هو على ظهر الاسد فضم الاسد بفخذيه ضمة بلغ بها
الجهد وفرج بين قوائمه وثبت بمكانه يلهث وقصده الاخر
فانتهى اليه حتى الصق راسه براس الاسد الذي تحته حتى
سقطا جميعا ميتين فقام بهرام قايما على قدميه وحمد الله على
صونه وعونه وازال ذنوبه من منطقته وتناول تاج الملك
فوضعه على راسه فناداه كسرى الذي كانت الفرس
ملكوه ليهنئ بهرام الملك ابن الملك ما اعطاه الله من ميراث
سلفه فكلنا سامع مطيع ثم ارتفعت اصوات الفرس بالدعا
له وتقدم اليه موبذ فاخذ بيده واجلسه على سرير ملكه
وشد عليه زينة الملك ودانوا له بالطاعة وتتابع زعما الفرس
على ذلك وركب بهرام فدخل المدينة ونزل بقصر ابيه وفرق
الاموال في ذوي الحاجات واهل النعم وحبا النعمان بن المنذر
وشرفه وتوجه واجاز الذين صحبوه باسرهم على اقدارهم ثم انه
وفا لرعيته بمواعيد عدله واحسانه ولم يزل محمودا فيهم
حتى هلك وقد دونت له الفرس اخبارا عجيبة اودعنا منها
خبرين نادرين كتابنا المسمى انبا نجبا الابنا وبعد

فلله

فلله الحمد بما هو اهله والله الموفق وبه الاستعانة والهداية

السلوانة الخامسة سلوانة الزهد

السلوانة الخامسة وهي سلوانة الزهد قال الله ربنا تقدست اسماؤه مخاطبا لاحكم من استخلفه في ارضه واعلم
انه من كلف ما يرضيه الذي كان عاضدك على ما يستكفيه وعاصمه
فيما يبديه ويخفيه ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه هذا بعد ان خيره بين ان
يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار فقد الملك على غنا الملك

شعرا

قال له جبريل عن ربه خيرت فاختر يا دليل الهدى
نبوة في حال عبد به تحوى بها القدح المعلى غدا
او حال مليك تخر العدى بين يديه ضعفا سجدا
فاختار ما يحظى به اجلا لله ما اهدى وما اسعدا

خبر نبوي في زهد الملوك من حديث ابن مسعود

رضي الله عنه قال ان ملكا ممن كان قبلكم بينما هو في ملكه
ادركه الخوف لله فترك ملكه وخرج حتى اتى النيل
فكان على شاطئه فضرب اللبن يعني الطوب ونفقاته
من ذلك فسمع الملك الذي كان في ارضه بخبره فارسل اليه
يقول له كن بمكانك حتى الحق بك وترك الاخر ملكه ثم لحق
به فكانا امرهما واحد الى ان هلكا قال عبد الله ابن مسعود
فلو كنت بمصر لاريتكم قبريهما بما نعته رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورويناه بلفظ اتم وهو ان عبد الله بن مسعود قال

بينما رجل في موكبه تذكر فعلم ان ما هو فيه منقطع وانه قد
شغله عن عبادة الله فانساب من قصره ليلا وصار الى مملكة
غيره فاما ساحل البحر يضرب اللبن ويتغذى من ذلك فبلغ
الملك الذي كان في مملكه عباده فركب اليه وساله عن حاله
فقال له ان فلانا صاحب ملك كذا وكذا علمت ان كل ما
كنت فيه منقطع وانه قد شغلني عن عباده ربي فقال له
ما انت بما صنعت باحوج مني ثم خلى سبيله ملكه وتبعه وكانا
يعبدان الله عز وجل وسالا ان يميتهما جميعا فماتا جميعا قال
عبد الله بن مسعود لو كنت ثم لارتيكم قبرهما بالبعث الذي
يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم **منثور ومنظوم من الحكم
الزهدية** روي ان سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه حين اعجبه ما صار اليه من الملك يا عمر كيف
ترى ما نحن فيه من هذا الامر فقال يا امير المومنين هذا سرور
لولا انه غرور ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه هلك
وفرح لو لم يعقبه ترح ولذات لولا يقترن بافات
وكرامة لو صحبتها سلامة فبكى سليمان حتى اخضلت لحيته
بدموعه

يا متعبا كره الحرص * في الفضول وكاده
لو حرت ملحار كبس (؟) * وما حواه او افاده
ما كنت الا معنيا * ومغرما بالزياده
لم تصف في الارض عايش * الا لاهل الزهاده

فارض

فارض بالزهد لفنيا * فانما الخير عاده

حذار من دار هي شر دار حرامها سم ناقع وعذاب واقع وحلالها
نصب لمانع واسع واقنع شعرا

دنياك دار غرور * ومنعه مستعار
ودار كيس وكسب * ومغنم بالزياده
وراس مالك نفس * فاحذر عليها الخساره
ولا تبعها باكل * وطيب عيش وشارة
فان ملك سليمان * لا يفي بسراره

ومن قصيده لي في مثل ذلك

راعك الزهد انما الزهد حرص * لفضول تلهي وتطغي وتردي
ثم لا يكن الوهاب في المقسوم رزقا وفي ضروب التعدي
مرحبا بالكفاف خيرا عفوا هنيئا * ثم لا مرحبا بحرص وكدي
ما علمنا وقد راينا كثيرا * او سمعنا الشقا وبكدي
ثم لا يستطيع ان يتعدى * قدر ما خطه من مردي

قيل ان خرقة بنت الى قابوس النعمان بن المنذر استاذنت
في القادسيه على سعيد بن ابي وقاص رضي الله عنه فاذن لها فدخلت
في جواريها وعليهن المسوح ومقطعات السلب السود فراى
منظرا شنيعا ولم يتميز له خرقه من جواريها لمشاركتها
اياهن في الزي ولكن رواهب فسلمن عليه فقال ايتكن الخرقه
فقالت انا ذه فقال انت خرقه فقالت نعم وما تكرارك استفهامي
ان الدنيا دار فلعه وزوال فلا يدوم على حال يتنقل باهلها

تنقلا وتعقبهم حالا فحالا وانا كنا ملوك هذه الارض تجبا
الينا خراجها ويطيعنا اهلها مدا المدة وزمان الدولة فلما
ادبر الامر صاح بنا صايح الدهر فصدع عصانا وشتت
شملنا وكذا الدهر يا سعد انه ليس من قوم اتحفهم بخيرة
الا اردفهم بغيره ولا اسعفهم بفرحة الا اتبعهم ترحة
وانشدت شعرا

فبينا نسوس الناس والامر امرنا ⁂ اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فاف لدنيا لا يدوم نعيمها ⁂ تقلب تارات بنا وتصرف

وبينما خرقة تخاطب سعدا رضي الله عنه اذ دخل عمرو بن معدي
كرب الزبيدي على سعد فنظر الى خرقة فقال لها انت خرقة
التي كانت الفرس تفرش لك الارض من قصرك الى بيعتك الديابج
المطرز بالوشي فقالت نعم فقال لها فما الذي دهمك واذهب
محمودات شيمك وغور ينابيع نعمك وقطع سطوات نقمك
فقالت يا عمرو ان للدهر عثرات تلحق السيد من الملوك بالعبد
المملوك وتخفض ذوي الرفعة وتذل ذوي النعمة وان هذا
امر كنا ننتظره فلما حل بنا لم ننكره ثم ان سعدا سالها
عما قصدت له فاستوصلته فاجزل صلتها وقضى حوايجها
ولما فصلت عنه سئلت ما ذا لقيت منه فانشدت

صان لي ذمتي واكرم وجهي ⁂ انما يكرم الكريم الكريم

روضة رايقة ورياضة فايقة قال محمد عفى الله عنه
يذكر من زهد الملوك ما يناسب الخبر النبوي الذي قدمناه

آنفا

آنفا وهو زهدهم في الملك مع نبذهم له وتخليهم منه ولا نعرض
لمن زهدهم في نعيم الملك ولم ينبذه مع استقلاله باعبا
سياسة الخلق بالحق واعتنى العبادة والزهادة مع ذلك
كداود وسليمن في النبيين عليهم السلام وكابي بكر
وعمر وعثمان في الخلفا المهديين رضي الله عنهم فان هذا
الفن يخرج من هذا التبويب ولا يدرج في هذه الا لسب
والله المستعان فمن ذلك ما بلغنا عن معوية بن يزيد كان على
صغر سنه عالما عاملا متنبلا متنفلا قد ذلل نفسه
للتقوى وعزف بها عن زينة الدنيا فصيرت الخلافة اليه وسنه
يومئذ سبعة عشر سنة فخامره الندم على تحملها واطلع اهل
بيته على ذلك فكرهوه فلبثوا عشرين ليلة يناظرونه فيه
وينهونه عن اطراحها لكراهيته فلما راوا انه غير منته وانه
لا بد له من خلع نفسه دعوه الى ان يعهد الى احدهم فقال كيف
اتجرع مرارة فقدها واتقلد تبعة عهدها ولو كنت موثرا
بها احدا لاثرت بها نفسي ثم انه خطب الناس فذكر لهم عجزه عن
القيام بامرهم وعهد اليهم ان ينظروا لانفسهم واحلهم من
بيعته وانصرف فاغلق بابه ولم ياذن لاحد فلبث بذلك خمسا
وعشرين ليلة وقيل عشرين ليلة ثم لحق بالله سبحانه وقال علي
بن الجهم في ذلك من ارجوزة تاريخه

ثم ابنه معوية المضعف ⁂ كان له دين وعقل يعرف
ودام شهرا ثم نصف شهر ⁂ وجاءه الموت عزيز الامر

وترك الناس بغير عهد تورعًا منه وفضل زهد
قال المسعودي رضي الله عنه عنده كلام علي بن الجهم تتضمن
ان معاوية مات ولم يخلع نفسه والمعروف ما ذكرته وانما
قال معية لان الناس استضعفوه لتركه الخلافة وكذلك
كنوه ابا الليلي وهي كنية المستضعف كما ذكرته وبلغنا
ان السبب الباعث له على الزهد في الخلافة والتبرئ لها انه
سمع جاريتين له يتلاحيان وكانت احداهن بارعة الجمال
فقالت الاخرى لقد اكسبك جمالك كبر الملوك فقالت لها
الحسنا واي ملك يضاهي ملك الحسن وهو قاض على الملوك
فهو الملك حقًا فقالت لها الاخرى واي خير في الملك وصاحبه
اما قائم بحقوقه وعامل بالشكر فيه فذلك مسلوب اللذة
والقرار منغص العيش واما منقاد لشهواته موثر اللذاته
مضيع للحقوق مضرب عن الشكر فمصيره الى النار فوقعت
الكلمة في نفس معاوية موقعًا موثرًا وحملته على الانخلاع
من الامر **قصة رائقة وحكاية فائقة قيل كان عدي**
بن زيد العبادي التميمي قد دخل ارض الروم رسولا لملك الفرس
فاقتبس من علومهم وقرا الكتب وكان ذي مكانة من ملك الفرس
وكاتبًا وترجمانًا له وكان ابو زيد واليًا على الحيرة وخليفة
المنذر بن ماء السماء فكان عدي بن زيد عند ملوك الحيرة مرتفع
لاجل ما ذكرناه في اعلا المراتب قالوا وحضر يومًا عند النعمان
بن امرء القيس بن عدي ملك الحيرة وهو بالخورنق والخورنق

فقصر

قد قدمنا ذكره فاشرف النعمان بن امرء القيس بن عدي على ما حول
الخورنق وذلك في فصل الربيع فتامل مليًا ثم اقبل على عدي
بن زيد فقال يا عدي اكل ما ترى الى نفاد وزوال فقال عدي قد علم
الملك الامر على ما ذكره فقال النعمان واي خير فيما يفنى ويبيد
ثم قلما لبث ان تنصر وترهب وساح في الارض وقيل انه كان
معجبًا بالزهد المسما شقائق النعمان واليه ينسب لانه كان
يتبع رياضه ويحميه وانه قصد يومًا من ايام الربيع غاسما
شقيقة قد كان كساها ذلك النور والشقيقة في رملة مستطيلة
فلما عاين تنضد ذلك النور في رياضه منابته وتنوع حمرته
وحصر شوقه وتوجد بهبوب النسيم عليه وتناثر قطر
الندا من ارجائه راى منظرًا بهيجًا فامر ان يبسط بارجاء تلك
الشقيقة بساط موشى من الحرير فكانما كان روضة مختلفة
باصناف الزهر ونصب عليه قبة من الديباج الاحمر قد شحنت
من المقاعد والحشايا والنمارق والمساند بما يضاهيها ويجانسها
ولبس من الحرير المصوغ بالبهرمان وهو العصفر افضل ما يمكنه
وجلس في قبته تلك مواجهًا للشقيقة وله ندمائه وملهوه وعنده
عدي بن زيد فشرب وطرب ودبت فيه الراح فارتاح ثم اقبل
على عدي يخاطبه بما ذكرناه انفًا فلما سمع عدي مقالته اهتبل فرصة
موعظة بما حكيناه وازمع الزيادة في انقاضه في عقله فامهله
حتى انقضى اربه في مجلسه ذلك فركب فسايره عدي الى ان مر بقبور
بظاهر الحيرة فقال عدي للنعمان اتدري ما تقول ايها الملك تدري

ما تقول هذه القبور فقال لا قال عدي انها تقول

ايها الركب المخبون ... على الارض المجدون

كما انتم كنا ... وكما نحن تكونون

فلما سمع النعمان مقالته راجعته فكرته السالفة وظهر عليه الانكسار
ثم مر بشجرات متناوحات بينهن ناحية فيها عين جارية فقال
عدي للنعمان اتدري ما تقول هذه الشجرات ابيت اللعن فقال عدي
ما تقول قال عدي انها تقول شعرا

من رانا فليحدث نفسه ... انه موف على قرب زوال

وصروف الدهر لا يبقى لها ... ولما تاتي به صم الجبال

رب ركب قد اناخوا حولنا ... يشربون الخمر بالماء الزلال

والاباريق عليها فدموا ... وعتاق الخيل تردى في الجلال

عمروا دهرا بعيش حسن ... امنى دهرهم غير عجال

ثم اضحوا عصف الدهر بهم ... فكذاك الدهر يردي بالرجال

ويقال ان ذلك كان بينهما في موطن اخر وانه اشار بقوله هذا الى قبور
عما اشار اولا قيل فلما بلغ النعمان فضرع قال لعدي اذا كان السحر
فاحضر فان عندي خبرا اطلعك عليه فلما كان السحر حضر عدي
فوجد النعمان قد لبس مسحا واخذ اهبة السياحة فودعه
وذهب ولم يعلم له خبر وعدي السائح المترهب هو النعمان بن
المنذر الاكبر ولم يدركه عدي ولكن ذكره في شعره والذي ادركه
النعمان بن المنذر الاصغر وان كان عدي نبه بما حكي عنه تنبيها

اقتضى

اقتضى تنصره لا سياحته بل هو الذي قتل عديا وبقي في ملكه الى
ان قتله كسرى والله اعلم اي ذلك كان وبالجملة ففي ذلك يقول
عدي بن زيد ... ايها الشامت المعير بالدهر انت المبرأ الموفور

ام لديك العهد الوثيق من الايام ام انت جاهل مغرور

ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبور

ثم صاروا كانهم ورق جف فالوت به الصبا والدبور

وروي ان ملكا من ملوك اليونانيين قام في منامه في بعض الغدوات
فاتته قيمة ملبسة بثيابه فلبسها ثم ناولته المراة فنظر
فيها فراى شيبة في لحيته فقال لها هات المقراض يا جارية فاتته
فقصت الشيبة فتناولتها الجارية وكانت اديبة لبيبة فوضعتها
في كفها واصغت اليها اذنها ساعة والملك يتاملها فقال لها
ما تصغين فقالت اسمع الى ما تقول هذه الشعرة التي عظم مصابها
لمفارقة الكرامة العظمى حين سطحها الملك فاقتصها فقال
الملك فما الذي سمعت من قولها فقالت زعم قلبي انه سمعها
تقول كلاما لا يجري لساني على النطق به الا اتقا سطوة الملك
فقال لها الملك قولي على امنة وعدم توق ما لزمت الوقار
واسلوب الحكيم فقالت انها تقول ايها الملك المسلط الى
امل قصير اني كنت ظننت بان البطش في الاعتداء علي ولم
اظهر على سطح خدك حتى بسقت ووجدت بعض
خفي اوجس وعهدت الى بناتي في الاخذ بثاري عهدا
وكان قد خرجن فجعلن الاخذ فيك امنا باستيصالك

واما بتقبيض لذاتك وتخفيف قوتك حتى تنفذ الى الملك
راحة فقالت لها الملك اكتبي كلامك هذا فكتبته له فتصفحه
مرارا ثم نهض مبادرا فاتا هيكلا من الهياكل التي يعظمونها فنزع
منه ملبس الحكم والملك وتزيا بزي نساك الهيكل وبلغ
ذلك اهل مملكته فبادروا اليه وطالبوه بالعود الى محل
مملكته وتدبيره فامتنع عليهم وسالهم اقالته
وتمليك غيره فامتنعوا عليه وهموا بامتحانه فاصطلح بينهم النساك
على ان يتركوه في ذلك الهيكل يعبد ربه ويستكفي بما يستناب
في مثله في امور رعيته ويلي غيره ذلك بنفسه فلبث بذلك
الى ان هلك رحمه الله تعالى **روضة الالفة وراحة فايقة**
بلغني ان ملكا من ملوك اللان كان كافرا شديد العتو
والكبر حديث السن مستحكم العزة وكان اذا ركب لم يستطيع
احد ان يرفع صوته الا بالثناء عليه والشكر لاحسانه وكان
له وزير نصراني مومن يكتم ايمانه ويتحين وقتا يمكنه فيه دعوة
ذلك الملك الى الله سبحانه وتعالى فركب الملك يوما فسمع شيخا
قد رفع صوته لبعض شانه فقال للشرط خذوه فلما سمع اخذ الشيخ
قال ربي الله فقال الوزير للشرط خلوا عنه فاشتد غضب
الملك على وزيره ولم يمكنه الانكار عليه في ذلك المقام لئلا
يظهر للناس ان الوزير يخالفه فيما يامره به وسكت ليوهم الناس
ان الوزير انما امر بما يريده الملك فلما انصرف الملك الى مستقره
احضر الوزير فقال الوزير له ما دعاك الى مناقضة امري

لتشهد

لتشهد من عبيدي فقال الوزير ان لم يحمل الملك ارينه وجه نصيحتي
واشفاقي وتخوفي عليه فيما اتيته فقال الملك اري ذلك فاني
لا اعجل عليك فقال اريد الملك ان يحتجب في مجلسه هذا ويكون
بحيث يرى ويسمع من جانبه ففعل الملك ذلك ثم ان الوزير
احضر قوسا صنعها الوزير للملك بعد خدمه وكتب الصانع
اسم نفسه عليها فناولها غلاما بحضرته وقال للغلام اني
محضر صانع هذا القوس فاذا احضر واقبلت بالمحادثه فاقرا
الاسم الذي على القوس جهرا حتى تعلم ان صانعها قد سمعك ثم
اكسرها واحضر القواس وفعل الغلام ما امره الوزير فلما
كسر القوس لم يتمالك صاحبها اذ ضرب الغلام فشجه فقال
الوزير ويحك تضرب الغلام بحضرتي فقال القواس ان القوس
عملي ايها الوزير وهو في غاية الحسن والجودة فلاي شي كسرها
فقال الوزير لعله لم يعلم انها عملك فقال بلى قد اخبرته القوس
انها عملي فقال الوزير وكيف اخبرته القوس فقال هذا خطي
بذلك عليها وقد قراه وانا اسمعه اسمعه فصرف الوزير
القواس ثم اقبل الوزير على الملك فقال له قد رايت الملك وجه نصحي
له واشفاقي عليه مما كان مني وان الملك لما اراد ان يسطو على
الشيخ اخبره الشيخ ان الله ربه فخفت على الملك ان يبطش به
رب الشيخ فليس يقوم لبطشه شي فقال الملك للوزير وهل للشيخ
رب غيري فقال الوزير الم تره ايها الملك شيخا والملك شابا افهل
كان هذا الشيخ قبل ان يولد الملك لا رب له فقال الملك بلى

كان ابو الملك ربه فقال الوزير فما بال المربوب بقي بعد هلاك
ربه فقال الملك للوزير لقد قدحت في كبدي بزند غير صالد
ولقد علمت الان انه يجب ان يكون للمالك والمملوك رب لا يزول
فهل تعرفه فدلني عليه فقال الوزير نعم انا اعرفه فقال الملك ادللني
عليه اكون لك تبعا ما بقيت فقال الوزير اما دلالتك عليه
فاول ما يجب لك علي واما اتباعك لي فلان فعلته فانما يدفع عندك
بمحنة ما بربك ثم ان الوزير تلطف في دلالته على الله سبحانه وشرح
الله صدر الملك بقبول ذلك فامن بالله سبحانه ثم قال لوزيره
اما لربنا خدمة اذا احسنها عبده حظي عنده فقال الوزير بلا
ان له وضايف عبادة اذا امر بها خلقه ورضي لهم فعلها ووعدهم
عليها رضوانه والقرب منه وذكر له الصلوة والصيام وغير
ذلك من شرائع المسيح عليه الصلوة والسلام فجعل الملك يرتاض بها
نفسه حتى رسخ في علمها وتمرن على العمل بها ثم انه
قال للوزير مالك لا تدعو الناس الى الله كما دعوتني فقال ما
معناه ايها الملك ان الان امة ذات قلوب قاسية ووجوه
قصبة ونفوس عصية ولست امنهم على دمي ان تقوم لهم بذلك
فمي فقال الملك اني فاعل ذلك ان لم تفعله انت فقال الوزير
ليعلم الملك انهم لم يردهم هيبته عني لم يردهم عنه وساجعل
نفسي وقاء لنفسه وانهم سيقتلوني لا محالة فلا يجترى
الملك عليهم بمثلها بعدي ثم ان الوزير اسند عالي دار
وجوه تلك المملكة وذوي تدبيرها وولاة احكامها

واهل

واهل النسك والحكم منها فلما فرغ واجتمعوا اليه في داره قام فيهم
خطيبا بالدعوة الى الله سبحانه فثاروا اليه فقتلوه ثم صاروا اليه
الى الملك فاخبروه بما كان من الوزير ومنهم وقالوا له انا ظننا ان
الملك على مثل رايه فيجب معرفة ما عنده وارضاهم بالقول وادهن
لهم وصوب رايهم في قتل الوزير فانصرفوا عنه راضين وقل ما
لبث الملك ان نبذ ملكه ولحق بالرهبان وكان معهم الى ان توفاه
الله عز وجل روضة رائقة ورياضة فايقة قيل ان
ازدشير بن بابك بن ساسان ولد له ولد في حداثة سنه
وبدو امره ولدا اسماه بابك بما سما ابيه فنشا رائع الصورة بارع
الخلق فشغف به ازدشير حبا والزمه فيلسوفا ماهرا في
الفلسفة راسخا في الحكمة متخليا في الرهبانية وساله ازدشير
ان يتخذ ولدا فانقطع الفيلسوف عن ابيه وولي تربيته
وتخرجه الى ان استطلع باعباء علوم الفلسفة وتبوى مثوى
الزهد ولما سعى ازدشير لهم كلمة الفرس فتم له المراد واعطاه
ملوك الطوايف القياد استمد راي ولده بابك فيما نابه من
المهمات فظفر منه باضعاف امنيته الا انه كان لا يباهل
ويتنا فيه الا في بعض الدسائس ليصنعها ويعرفها بؤسها
وتخوفا من عواقبها وكان ازدشير منغص المرة بولده لاجل ذلك
فكان يقال من حجب الملوك بما يكرهونه فلا يتكرهونه وكان
يقال قلما يتوفر فكر الملوك على امر واحد حتى تطول عليه عنايته
على انفراده وذلك لكثرة ما يتجاذب خواطرهم من الامور

حتى اذا توفر فكره على امر واجتمع له او شك ان يحكمه فاذا رايته
قد اجتمع الامر وتوفر عليه فلا تعرض له بغيره فيحول بينه وبين
الفرصة التي يتوقع ظفره بها قيل وكان اردشير يحتمل ذلك لوليه
شغفا به وتاملا له وابقا عليه فقال له يوما يا بابك اتعرف
اباك فقال بابك ان لي ابوين الملك السعيد ابوين ابا كان عليه
كوني وابا كان عليه بقاي وانا بهما عارف فقال اردشير
صف لي اباك الذي كان عليه كونك فقال بابك ما معناه انه
ملك ملا العيون بهاء والاسماع ثناء والصدور رهبة
والقلوب محبة ذو رافة شاملة وقضية فاصلة وسيرة
عادلة وحزم اخاف قلوب المؤمنين من اجسادها وسيوفهم
من اغمادها وامن البرين بين السباع الضارية والافاعي الجارية
والاشباح رفق لسيفه وحكمه فقال اردشير لابنه بابك
صف لي اباك الذي كان عليه بقاؤك فقال بابك ما معناه انه حكيم
عرف فضيلة نفسه فكرمها وعني بها فخدمها فقال اردشير
خبرنا عن خدمته لنفسه فقال بابك ما معناه انه تامل نفسه
فراها ارضا اريضة انيقة لكل خير خليقة ذات مياه نابعة
واشجار فارعة وثمار يانعة وظل ظليل ونسيم عليل الا
انه الفاها مأوى لاسد الغضب ونمور الجهل وذئاب الغدر
وخنازير الشره وكلاب الحرص وسباع الحمق وحيات الظلم
وعقارب الحسد فنفا عنها هذه الآفات كلها وحصنها
منها فصارت خيرا محضا لا شر فيه فلما سمع اردشير

مقالة

مقالة ابنه علم انه معرض عن الملك زاهد فيه فابد له مساره
ثم اقبل عليه فقال له يا بابك ان الحكمة لا ترضى لمن اتصف بها
ان يكون مربوبا مقهورا مع تمكنه من ان يكون ربا قاهرا
فقال بابك ما احذر الملك السعيد بالصدق واحراه بالاصابة
ولكن ان اذن لي الملك ضربت له مثل الرب القاهر والمربوب
المقهور فقال اردشير هات ما عندك من ذلك فقال بابك ذكروا
ان فيلا كان مكرما عند بعض الملوك وكان ربيبا انسا اديبا
وانه صيد لذلك الملك فيل وحشي تعسرت على السواس رياضته
وتعذر عليهم تانيسه فراوا ان يجعلوه مع ذلك الفيل الانيس
الاديب ليانس به ويقتبس من ادبه ففعلوا ذلك فازداد
نفارا وتوحشا فبالغ السواس في عقوبته والتضييق عليه
والتجويع له ليذل فينال منه الجهد وان الفيل الربيب
قال له يوما لقد جنيت على نفسك شرا ولكنه كان يقال
العزة باب يحجب الالباب عن صوب الصواب وكان يقال الجاهل
ميت الاحيا وذلك لتهوره وفساد تصوره وكان يقال لا
تبح رامتك غير طالبها كما لا تنكح كريمتك غير خاطبها
فقال الفيل الوحشي للربيب ما الذي تراه لي قال يطيب
علفك ويستعذب موردك وينظف مسكنك ويتوكل
خدمه فكلويك ويراعون شؤونك وتجعل لبروزك اوقاتا
معلومة مسطرة ويحتشد الناس لها بحلل الديباج ويضرب
بين يديك الالات بهيج الطرب وتبعث على الاختيال

ثم تبرز مكرما معظما لا يعارضك دابة ولا تهب للهوز عليك
هابة فقال الوحشي للربيب لا اخبرتني ما ذكرت لي فترع
عن توحشه ونفاره وتاتا لما يراد منه فكرم وعظم ونعم
ولما وصل يوم الزينة بولغ في تكرمته وتنظيفه وحلل بالديباج
وشد على ظهره سرير مزين وصعد عليه المقاتلة عليهم
الدروع والخوذ وبايديهم عمد الحديد وركب على عنقه
دراع بيده كلاب والبست قطسنه بالزرد وشد
على طرفها قايم سيف كبير وقبض سواسه على نابيه
عن يمين وشمال وبايديهم عمد الحديد وعليهم عمد الحديد
الدروع وضربت بين ايديهم به الطبول والصنوج وصار
على ذلك الحال حتى بلغ المراد منه فلما عاد الى ماواه قال
لذلك الفيل الربيب قد تكون حقيقة كلما حدثتني عنه
ورايت زيادات احببت ان اسالك عنها قال ما هي قال
ما كانت تلك الاثقال الذي حمل على ظهري فقال الربيب
اولئك المقاتلة على ظهورهم سرير ومعهم الات القتال
قال فما ذلك الذي شد فيه قطستي والذي شد على
طرفها وما اراد القابضان على نابي والراكب على عنقي
فقال له الربيب اما الذي شد على قطستك فدرع
يحصنها لانها مقتل واما الذي ربط اليها السيف سيف
تضرب به العدو واما القابضان على نابيك فانهما يذبان
عنك الاعدا ويعينانك على الاقدام واما الراكب على عنقك

فيهديك

فيهديك الى الجهة الذي يراد منك سلوكه فقال الفيل الوحشي
لامر ما طيب علفي واستعذب موردي ونظف بدني
ومسكني ونوم باسي وجمل ملبسي واولا ان امرا يقوم
خيره لشره ولا يفي نفعه بضره وبعد فلا كونن احرص
الحراص على التماس الخلاص وانه كان يقال من عني بغيره
ليس يحترس من انقياد لذاته وخدم سوداته وكان يقال
اذا كانت الحاجة تستعبد المحتاج لمن احتاج اليه بقدر حاجته
فالناس عبيد الدنيا واعبدهم اليها احوجهم اليها وكان
يقال اذا كانت العبيد كاينة عن حاجة المعبود والحاجة
اليه فاعبد العبيد ثلثة الملك والمحب والمنعم عليه
لانه لا يستقل العبودية والحاجة اليه على ظاهرهم وباطنهم
والملك اعبد الثلاثة لان الرعية تستخدم باطن الملك وظاهره
في تدبيرها وتاديبها وصونها من عدوها وعونها على مصالحها
وردع ظالمها ونصرة مظلومها وتامين سبلها وسد ثغورها
والاعداد لما يبعثها في الحدوث ولما يحصنها في الحروب وجبا ثد
فضول اموالها وحرفها في صلاح احوالها وحسم اسباب هيجها
واراحة عليك فسها وهرجها هذا مع شدة حاجة الملك
الى رعيته في صون نفسه ولفسد امره وامحاض نصحه ودفع
عدوه فلما سمع الفيل الربيب مقالة الوحشي تعين له انه
اولى منه بالعزة والتهور وفساد النصور وفال بحق قالت
الحكما الجهل يحجب العماب ويقلب الاعيان وقالوا لا يزال

المخطي مرحوما مالم يخامره الاعجاز بخطائه فاذا العجب حجب
ثم قال للوحشي اني اكافيك عن نصحك اياي وتبصرك لي بان افتح
لك باب الحيلة في نجاتك لاني ابصر باخلاق الانس وعاداتهم
واهدى الى وجه الخلاص منهم وسانتعل واكون خادما لك ما بقيت
ثم انهما اتفقا على ان يتظاهرا بالزجر وهو داء يصيب الفيلة والا بل
في اعمارها فاذا اقامت ارعدت افخاذها حتى يكاد يسقط فتعالج
بالفصد ويحمل على السعالون فلما تظاهر الفيلان بذلك سارع
السواس الى مداواتهما واخرجوهما الى الصحرا فسيروهما فلما
بعد الفيلان عن العمارة وامكنهما فرصة الهرب شردا فالتحقا
بالفيلة المتوحشة فهذا ايها الملك لسعيد مثل ما ذكرت
فلما وعى اردشير مقالته وله اطرق مغموما متفكرا في
امره وقد تبين من اجابته الى ما يريد منه ثم انه نهض وامر
بابك باتباعه فاتبعه حتى ادخله بيوت امواله ومستودعات
ذخائره فجعل يريه اياها ويشهده على مرايا هما حتى اتى
على اخرها ثم اقبل عليه فقال له يا بابك لمن يترك هذا
المال تتركه لمن هو احب اليك من نفسك واخو لها سنها فقال
بابك ان اذن لي الملك لسعيد ضربت لك مثلا فيه جواب
ما سالتني فقال له اردشير هات ما عندك في ذلك فقال
زعموا ان راعي بقر كان يرعاها على اهل قرية فيحسن لبقرهم
المسراح والمراح فلبث كذلك برهة طويلة من الزمان وهم
به مغتبطون وعليه مثنون لما يعرفون من بركة سعيه

ونمو

ونمو رعيه وكانوا لا يسالونه عن شيء من امر بقرهم الذي اسلموها
اليه رضا به وطمانينة الى امانته وكفايته وكان يقال
الاحسان والامانة مملقان بكل لسان ناطقان عند كل انسان
قالوا فكان الراعي ياوي الى صومعة راهب يقيل في ظلها ويكثر
التاوه والانين لما يناله من التعب لما يعانيه ويكثر ذلك
منه على الراهب الى ان خامرته له رقة فاطلع عليه يوما فقال
له ايها الراعي مالي اسمعك تكثر الانين والتاوه فقال الراعي
ذلك لما اتجشمه من حفظ هذه البقر والذب عنها وتتبع
المرعى الخصيب لها فاني اقوم من ذلك بما يعجز عنه غيري
واحمل نفسي على المشاق في حصول نماها فقال الراهب وما
الذي دعاك الى الاضرار بنفسك في صلاح سواها ونفسك اقرب
اليك واخو بسعيك فقال الراعي اني لو لم افعل ذلك لما بلغت
هذه البقر من السمن والوفور الى ما ترى ولقد كانت يوم وليت
امرها قليلة العدد كثيرة العجف نكبة الضروع ولا يرتـ
فنا ولا تملا انا فقال الراهب لقد حدت عن مسالتي حيث
من لم يوجها اقبالا ولم يلوها بالا اني انما سالتك عن سبب
حملك على نفسك لغيرها وايثارك من سواها بخير فاني خبير
بشديد عنايتك وشديد اعتنائك فاخبرني الان عما
افادك جميل سعيك وشديد رايك فقال الراعي افادني الغنا
لهذا البقر اني اكل من لحومها ما يسقط منها ما شيت واطعم
من شيت واتصرف في البانها وغير ذلك من منافعها تصرف

المالكين وانتجع بها من الارض حيث شيت فهي على الحقيقة
ذو يدي فقال الراهب هكذا زعم راهب كان ذا بلدتهم لمد بطلان
زعمه فقال الراعي اخبرني عن ذلك فقال الراهب ذكروا ان رجلا
كان سايحا مترهبا نزل في سياحته بدير كان حسن البنا متخلخلة
حيطانه وهو بمكان طيب نزه وبين يديه ارض اريضة
فيحا ذات ماء عذب وفي ذلك الدير نفر من ضعفاء الرهبان
ومساكينهم فاعجبه الدير واوطنه وكان قوي البدن جلدا
معمارا فاصلح ما تثلم من جدارات الدير وعمر الارض التي عنده
فاحتفر سواقيها واجرى ماءها وغرس فيها صنوف الاشجار
فدرت منافع الدير وقصده الرهبان فاوطنوه وسادهم
ذلك السايح واتخذ العبيد والدواب والة عمارة الارض
واستضاف الى ارض الدير ما جاورها وغرس فيهما من الكروم والزيتون
شيا كثيرا وعظمت المنافع وكثرت الجباية ورغب
السايح واتخذ العبيد والدواب في جميع الدنيا فحرم المساكين
واتخذ كنزا نفيسا في اقرب ومدة وكان يقال المال كالماء
من استكثر منه ولم يجعل له منسربا يتسرب فيه صار زايدا على
قدر الحاجة غرق فيه وكان يقال المواساة في المال والحيلة
عوده تقامهما ولما عامل الزاهد السايح من عمر معه
الدير بالحرمان واستاثر دونهم بالمال اكثروا شكايته
ففتحت القالة فيه واجترا عليه من كان يهابه وافضت
الحالة بهم الى مكاشفته مجاهرة ودعوه الى الانصاف والمواساة

مما

مما بيده فقال لهم كيف اعطيكم مالي الذي كسبته بكدي
واستفرغت في تحصيله جهدي فقالوا الدير هو لله ولا
لاحد منا فيه حق ولكن الفضل علينا بتنميته وصونه فقال لهم
ستعلمون مالمن هو ولما جن الليل امر عبيده فعقروا الف
دالية والف تينة والف لوزة فاصبحت مصرعة في
اشنع منظر فاتوا السايح واخبروه وهم لا يعلمون انه الفاعل
لذلك فزجرهم وقال لهم انه مالي ولا عليكم منه بقي او ذهب
فعلموا انه عمله فثاروا عليه فضربوه ثم طردوه فخرج
من الدير على الحال الذي دخله عليها فلما حصل بظاهر الدير
سرح طرفه راعيا فتنفس الصعدا تحسرا على ذهاب شبابه
وقوته وريعان عمره فيما لم يجد عليه طايلا ثم كانت عاقبته
الى هذا بلغة والانسلال منه على حال لموية وفاقة وضعف
فتاك نحو قالت الحكما الدنيا سبيل لعبر ولا لعمر ومن سالك
لا خطر سالك وقالوا الدنيا جسر من عبره باعتبار افضى الى دار
ونبار وقيل الدنيا قريب سلبها من سلمها وحفظها
من عطفها والعاقل من اهلها من استعد لحيلتها وليس الاستعداد
الا التاهب لنغصها المكتوم وفراقها المحتوم والاستكثار من
ذلك بنقيض ذلك وقيل ان الخروج من الدنيا مما يطيب به
نفسك لكن قد تتيها رياضة النفس عليه باستشعار الزهد
باستشعار الزهد في الفاني العاجل والاستكثار من العمل
النافع في الاجل وقالوا التنعم في الدنيا بضاعة خسرة زوالها

ملتقى أهل الحديث

فولد عند اعتصامها ثم ان الراهب عاد الى سياحته فقال مالبث
ان هلك فلما وضح وعي الراعي مقالة الراهب وفهم المثل
الذي ضربه له واستبصر فيما تضمنه من الحكمة قال خرجت من
ما حجرا في الان في التصريح بحالي عندك فقد ادبتني كما ادب
هما بي للنبول وحلت عن فطنتي صدا غيري فقال
الراهب للراعي قد اوضحت لك غلطك في دعوى ملك ما
استرعيت له واستعملت فيه وامتنت عليه وكشفت لك
ما استتر عنك من قبيح جرأتك على نفسك لتعرضا متعاضا عن
ذلك اعواضا قليله واغراضا مستحيله فازدد التفاتا الى
ملاحظتها واعمل في خلاص نفسك من السباع الضاريه والافاعي
الزريه والكلاب العاويه والغيلان المختلسه والشياطين
الموسوسه والاشراك الخاتله والسموم القاتله لتنجوا
من فخها وتعلو الى عالم الاسرار فما اراه بابك من اطاله الى
هذه الغايه .. سكت عن القول واطرق ازدبير هنا مليا ما
تصرف فيه ولده من المقال وضرب له من الامثال ثم نهض مضطرب
البال مصطرم البلبال وخرج بالكمه نوح ولم يعلم الى اين راح
فقال الفقير الى ربه الغني به محمد بن ابي محمد بن ظفر عفا الله عنه
الى والحمد لله قد انتهيت بعدة ما وردت الى غايه ما اردت
وانا اعوذ بالله من عذاب المذاهب كما اعوذ به من عجاب
الاعجاب واستكفيه عول السؤال كما استعفيه من عول الجواب
واستدفع به فساد الخطا كما استدفع به فساد الصواب

واتوب

To: www.al-mostafa.com

بيانات المخطوط
اسم الكتاب : سلوان المطاع في عدوان الأتباع
المؤلف : محمد بن أبي محمد بن ظفر الصقلي
المقدمة : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وهو حسبي ونعم الوكيل
قال الفقير إلى الله تعالى ، والغني به ، محمد بن أبي محمد بن ظفر عفا الله عنه ...
الخاتمة : فقال الفقير إليه ، الغني به ، محمد بن أبي محمد بن ظفر عفا الله عنه ، إني والحمد لله قد انتهيت بغية ما أوردت ، إلى نهاية ما أردت ، وأنا أعوذ بالله من عذاب الاعذاب ، كما أعوذ به من حجاب الإعجاب ، واستكفيه غول السؤال كما استكفيه غول الجواب ، واستدفع به فساد الخطا كما استدفع به فساد الصواب ، وأتوب ...
رقم النسخة : 333850
عدد الأوراق : 66 لوحا

مصدر المخطوط : مخطوطات (بيت آل حجر الغامدي) المملكة العربية السعودية ـ بلجرشي ـ قرية البركة .
تصوير : خالد بن عمر الفقيه الغامدي / ملتقى أهل الحديث / http://www.ahlalhdeeth.com

Source: www.ahlalhdeeth.com
To: www.al-mostafa.com